مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية
Global Islamic Economics Magazine

مجلة شهرية علمية إلكترونية تصدر عن مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية بالتعاون مع جامعة كاي

العدد /88 / محرم 1441 هـ الموافق أيلول / سبتمبر 2019 م

أثر محاسبة الزكاة على تداخل المحاسبة الزراعية والمحاسبة التجارية

جامعة كاي

جامعة مرخصة من التعليم العالي

متخصصة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

www.kie.university

هيئة تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

- الدكتور سامر مظهر قنطقجي: **رئيس التحرير.**
- الدكتور على محمد أبو العز: **الجامعة الأردنية، البنك الإسلامي الأردني.**
- الدكتور عامر محمد نزار جلعوط: **دكتوراه في الاقتصاد المالي الإسلامي.**
- الأستاذ عبد القيوم بن عبد العزيز الهندي: **الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.**
- الأستاذ حسين عبد المطلب الأسرج: **وزارة الصناعة والتجارة الخارجية المصرية.**

أسرة تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

رئيس التحرير:

- الدكتور سامر مظهر قنطقجي / رئيس جامعة كاي

مساعدو التحرير:

- الدكتورة مكرم مبيض / مساعدة التحرير
- الدكتور خليل إبرهيم علي القعيسي / مدقق اللغة العربية
- الأستاذ إياد يحيى قنطقجي / مساعد تحرير الموقع الإلكتروني

الإخراج الفني

- فريق عمل مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية

إدارة الموقع الإلكتروني:

- Kantakji-tech

شروط النشر

- تدعو أسرة المجلة المختصين والباحثين والمهتمين إلى نشر علوم الاقتصاد الإســـــلامي وتأسيسها لإثراء صفحات المجلة بنتاجهم العلمي والميداني؛ سواء اللغة العربية، أو الانكليزية، أو الفرنسية.
- تقبل المجلة المقالات والبحوث النوعية في تخصصات الاقتصاد الإسـلامي جميعها، وتقبل المقالات الاقتصادية التي تتناول الجوانب الفنية ولو كانت من غير الاقتصاد الإسلامي. وتخضع المقالات المنشورة للإشراف الفني والتدقيق اللغوي.
- إن الآراء الواردة في مقالات المجلة تعبر عن رأي أصحابها، ولا تمثل رأي المجلة بالضرورة.
- المجلة منبر علمي ثقافي مستقل يعتمد على جهود أصحاب الفكر المتوقد والثقافة الواعية المؤمنين بأهمية الاقتصاد الإسلامي.
- ترتبط المجلة بعلاقات تعاون مع مؤسسات وجهات إســـلامية وعالمية لتعزيز البحث العلمي ورعاية وإنجاح تطبيقاته العملية، كما تهدف إلى توسيع حجم المشاركات لتشمل الخبراء البارزين والفنيين والطلبة المتميزين.
- يحق للكاتب إعادة نشر مقاله سواء ورقيا أو إلكترونيا بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير مع ضرورة الإشارة لذلك.
- توجه المراسلات والاقتراحات والموضوعات المراد نشرها باسم رئيس تحرير المجلة على البريد الإلكتروني: رابط.
- لمزيد من التواصل وتصفح مقالات المجلة أو تحميلها كاملة بصيغة PDF يمكنكم زيارة موقعها الإلكتروني، ومن أراد التفاعل فيمكنه زيارة صفحتها على الفيسبوك، حيث يمكنكم الاشتراك والمساهمة في نشر الأخبار مباشرة من قبلكم.
- قواعد النشر: – تتضمن الصفحة الأولى عنوان المقال واسم كاتبه وصفته ومنصبه. – عند الاستشهاد بالقرآن الكريم، تكتب السورة والآية بين قوسين (وننصح بالاستعانة بالرابط)، أما الحديث النبوي فيصاحبه السند والدرجة (صحيح، حسن، ضعيف) (وننصح بالاستعانة بالرابط)،يجب أن يكون المقال خالياً من الأخطاء النحوية واللغوية قدر الإمكان، ومنسقاً بشكل مقبول، يتم استخدام نوع خط واحد للنص – العناوين الفرعية والرئيسية تكون بنفس الخط مع تكبيره درجة واحدة ولا مانع من استخدام تقنيات الخط الغامق أو الذي تحته سطر، والمجلة ستقوم بالتدقيق اللغوي والتنسيق على أي حال – الصفحة قياس A4 بهوامش عادية Normal يستخدم فيها الخط Traditional Arabic بقياس ١٦ – ويترك فراغ بين الأسطر بمعدل ١.٢، ولا يوضع قبل عـلامات التنقيط فراغات بل توضع بعدها، أما نوع خط الحواشي Times New Roman بقياس ١١.

رؤية المجلة

تفعيل الإفصاح والشفافية سعياً لانضباط السوق وتحقيق العدالة فيه.

تُعنى (مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية) بالاقتصاد الإسلامي وجميع علومه؛ كالاقتصاد، وأسواق المال، والمحاسبة، والتأمين التكافلي، والتشريع المالي، والمصارف، وأدوات التمويل، والشركات، والزكاة، والمواريث، والبيوع، من وجهة نظر إسلامية، إضافة إلى دراسات مقارنة.

وكل ذلك ضمن إطار فقه المعاملات.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 7

أثر محاسبة الزكاة على تداخل المحاسبة الزراعية والمحاسبة التجارية 9
الدكتور سامر مظهر قنطقجي

الجوانب الاقتصادية من الهجرة النبوية 18
د. الامام بله طيب الاسماء حمد

السمات العامة للبتكوين واقتصادياتها 27
رمزي بن عبد الله بن أحمد حسان

التحليل الاقتصادي لكتاب: صندوق النقد الدولي قوة عظمى في الساحة العالمية لأرنست فولف 36
د. علي سيد إسماعيل

المؤسسات العربية ورسم قيادة مبتكرة 59
د. فادي محمد الدحدوح

قراءة استراتيجية في رؤية رئيس محارب 61
د. سامر مظهر قنطقجي

الأبعاد الأخلاقية وعلاقتها بتدعيم الحوكمة الجيدة 64
د. زكرياء بله باسي

أثر القواعد الفقهية في تأصيل التصرفات الطبية 81
د. عمار عاطف الضلاعين د. محمد أمين المناسية

الإجارة ومشروعيتها 98
د. فاطمة الفرحاني

المصارف الإسلامية بين المعاملات الصورية والمعاملات الحقيقية 103
د. بن عوالي محمد الشريف

البنوك واستخدام تقنية (البايو متريك) 110
د. عبد القادر ورسمه غالب

هدية العدد: الدليل العملي للمدقق الشرعي في المصارف الإسلامية 112
يحيى محمد زكريا

أفكار مستقاة من الأخبار الاقتصادية العالمية تصلح أفكاراً للبحث العلمي 113

أثر محاسبة الزكاة على تداخل المحاسبة الزراعية والمحاسبة التجارية

الدكتور سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

سأل الأستاذ نور الدين درويشة المدير المالي لشركة زراعية؛ عن كيفية احتساب زكاة شركته التي يختلط فيها العمل الزراعي بالعمل التجاري. فارتأيت توثيق الإجابة لتكون المنفعة عامة للجميع. والله من وراء القصد.

شركة رأسمالها يزيد على خمسة ملايين، يقوم عليها شركاء من أرباب أموال وآخرون مضاربون في العمل، تستأجر أراضي وعقارات لمزاولة أعمال شراء النباتات ورعايتها والمتاجرة بها، من أهم أنشطتها:

- شراء النباتات وإعادة بيعها.
- شراء المستلزمات الزراعية.
- تعقيل النباتات من المرحلة الأولى حتى النهاية؛ حيث تمرّ تنميتها بمراحل عدة.
- إنتاج نبات الورد السلطاني (الجوري) وما شابهه، حيث يُقطف الناتج أحيانا ليباع كنباتات طبية لشركات الطبابة كالزهورات، ويكون ذلك مرة في السنة، وقيمته صغيرة قياساً إلى حجم مبيعات الشركة.

تستغرق جميع الحالات مدة تتراوح ما بين الشهر والشهرين، ومنها ما يحتاج السنة، حيث تبقى النباتات بغية تربيتها؛ لبيعها حين تصبح منتجاً جاهزاً، وتتحمل الشركة نسبة من التالف سواء من المواد الأولية أو شبه الجاهزة أو الجاهزة بسبب طبيعة هذه المنتجات.

أنشطة الصناعة الزراعية:

١- شراء النباتات وإعادة بيعها كما هي، تزداد تكلفتها بما تحتاجه من مصاريف إنماء.

٢- إنماء النباتات من الصفر: تتألف من المراحل الآتية:

- شراء المواد الأولية: سطل – بذرة – شتلة – تراب، حيث يتم إدخالها إلى مستودع المواد الأولية.

- تنقل المواد الأولية إلى مستودع المواد شبه الجاهزة، حيث تتم عمليات التجميع؛ لتصبح منتجاً جاهزاً، بنسبة إتمام تقارب ١٠٠٪، ويستغرق ذلك من ١–٢ شهر أو أكثر، ثم تنقل المخرجات إلى مستودع المواد الجاهزة.
- مع مرور الوقت، تنمو النباتات وتصبح جاهزة للبيع؛ فتُحمل كل وحدة منها (كالسطل مثلا) بما يخصها من مصاريف الإنماء، ومنها ما يباع مباشرة ومنها ما يباع لاحقاً.

٣– تعقيل النباتات:

- تعقل النبتة لعدد لا يقل عن ١٠–٢٠ عقلة، حيث يضاف لها التراب والسماد، وتوضع في سطل، وتتم رعايتها وسقايتها وتسميدها لتنمو وتكبر، لتنقل إلى مستودع المواد الجاهزة للبيع.
- تستمر عمليات الرعاية في مستودع المواد الجاهزة، بسبب طبيعة هذه المنتجات، ويتم تحميل كل وحدة منها بمصاريف إنمائها حتى بيعها.

تتكون **المصاريف الإنمائية** من المصاريف المدفوعة لخدمة النباتات كإيجار الأرض، وأجور العمال، والسماد، ونفقات السقي، واهتلاك الأصول الخاصة بالأرض كالبيت البلاستيكي، ووقود حراقات التدفئة، ووقود الآليات. ويُعدُّ الشهر أساس التحميل والقياس.

إذاً، كيف تسدد هذه الشركة زكاتها؟

يختلف العمل الفردي عن الأعمال الجماعية؛ ففي حالة مزارع لديه أعمال محددة، ولا يرغب في ضبط أموره بصورة صحيحة؛ يمكنه ممارسة عمله بالطريقة التي يرغبها. أما إذا كان العمل منظماً ضمن شركة تتوزع أعمالها جغرافياً بين إدارة ومستودعات ومعامل، ولديها عدد كبير من الموظفين؛ فلابد من التنظيم والأتمتة والحوكمة؛ منعاً لفشل العمل وتعرضه للفساد.

وقد حثّ رسول الهدى – صلى الله عليه وسلم – على الحرص والتدبير وتحقيق المنفعة؛ روى أبو هريرة – رضي الله عنه – في الحديث الصحيح: المُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ علَى ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ باللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ، وإنْ أَصَابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شَاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ.

وبناء عليه، يمكن النظر لأعمال هذه الشركة أنها تتألف من أعمال زراعية حيث الزراعة والتنمية والرعاية، وأعمال تجارية حيث المتاجرة والتخزين، وللتكيّف مع حسابات الزكاة، تقسم أعمال الشركة حسب معايير

الزكاة؛ فالمنتجات الزراعية تخضع لزكاة الزروع؛ أي العشر أو نصف العشر كونها مزروعات بعلية تنمو دون تدخل بشري، وزكاتها ١٠٪ من الناتج الزراعي أو من قيمته عند إنتاجه، أو أنها تحتاج إلى تدخل ينجم عنه تكاليف سقاية ورعاية وما شابهه وزكاتها ٥٪ من الناتج الزراعي أو من قيمته عند إنتاجه. أما أعمال التجارة، فزكاتها حولية أي حسب السنة الهجرية ونسبتها ربع العشر أي ٢.٥٪ من صافي رأس المال العامل، ويمكن تعديل نسبتها لتتناسب والسنة الميلادية؛ فتصبح ٢.٥٧٧٥٪ لمقابلة فرق الأيام بين التقويمين.

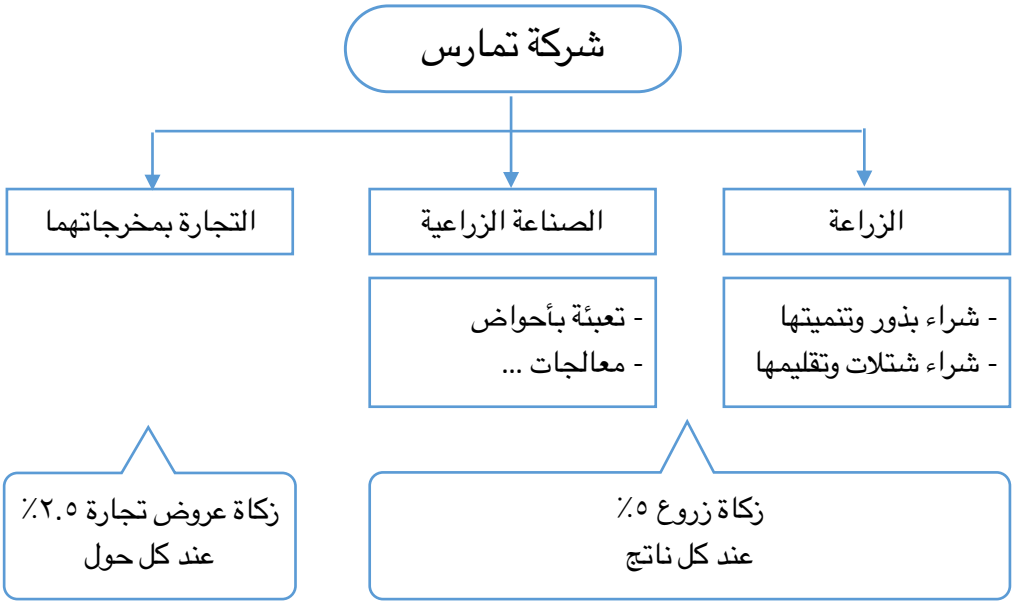

المعالجات المحاسبية:

بما أن المعالجات المحاسبية لابد لها أن تلبي احتياجات ومتطلبات العمل المالية والزكوية، لأجل ذلك يلجأ المحاسب إلى اختيار رقم حساب خاص في شجرة الحسابات يمثل مراكز التكلفة الزراعية؛ يتم تحميله بالمصاريف الإنمائية المباشرة من مواد أولية وأجور مباشرة ومصاريف زراعية تابعة لهذه المراحل. يتم تفريع رقم الحساب الرئيسي لمركز التكلفة إلى أرقام حسابات تغطي أنواع العمل الممارس من إنماء للنباتات، أو تعقيلها، وتنميتها والرعاية بها.

ثم يقسّم كل نوع من الأنواع الفرعية من حسابات مراكز التكلفة إلى مراكز تكلفة تشمل الدفعات (LOT) التي تتم معالجتها لضبط كمية الإنتاج لكل دفعة تماماً لاحتساب زكاة زروعه دون أي تأخير، امتثالا لقول الله تعالى: **وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ**، فالآية الكريمة ذكرت يوم الحصاد لتضبط زمن ولادة الإيراد مربوطاً بتحقق الإنتاج، فالحصاد مؤشر انتهاء الأعمال المرتبطة بالعملية الزراعية، ويهيء المنتج لمراحل تالية كالنقل والصناعة والتخزين والتغليف والبيع وهذه تتعلق بأمور غير الزراعة.

يقول الله تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (الأنعام: ١٤١).

ثم يتم تحميل كل مركز تكلفة بمواده وأجوره المباشرة والمصاريف الأخرى ذات العلاقة، ويُحول رصيد الناتج الزراعي ككمية وكتكلفة؛ لمستودع المواد الجاهزة أو شبه الجاهزة حسب ما تحتاجه الصناعة الزراعية، أو ربما تم بيعه كمنتج وسيط.

يتم احتساب زكاة الزروع بنسبة ٥٪ من كمية الناتج الزراعي ولا يمكن الركون إلى نسبة ٥٪ من رصيد الحساب إلا بعد التحقق من أنه يمثل سعر المثل للكمية فيما لو اشتريت من السوق لمنتَج مماثل. وهذه دقة مطلوبة؛ فقد يحصل تأخير بين التسجيل المحاسبي والحصاد؛ فتختلف الأسعار، ولضبط ذلك؛ يتم تتبع كمية وقيمة الرصيد وهذا هو حال محاسبة التكاليف عموماً سواء أكانت زراعية أم صناعية.

ويتم تسجيل رصيد الزكاة بعد ضبطه في حساب (مخصص زكاة الزروع).

إن الأصل أن يتم تحويل المنتج إلى مستودع المواد الجاهزة ليكون جاهزاً للبيع، لكن بسبب طبيعة كون المنتجات حية تحتاج عناية يومية – كما هو حال الشركة المدروسة –؛ فإن كل مرحلة هي بمثابة تنمية زراعية تحتاج إلى رعاية وإنماء مما يتطلب متابعة زكاة الزروع لكل مرحلة، ومنعاً لازدواجية الزكاة حيث نهى – صلى الله عليه وسلم – عن الثني في الصدقة[1] أي التثنية أكثر من مرة؛ فلابد من فرز المنتجات التي تستمر رعايتها حتى تحصل عملية قطاف ثمرتها كالورد الجوري أو السلطاني في الشركة المدروسة وتطبيق زكاة الزروع عليها، أو بجاهزية النبتات عند البيع حيث تتوقف رعايتها وتحمل بالتكاليف ذات العلاقة، وعندئذٍ تطبق عليها زكاة الزروع.

أما زكاة عروض التجارة، فتطبق في نهاية الحول أي السنة الهجرية أو الميلادية مع مراعاة الفارق، باحتساب صافي رأس المال العامل، ثم تطبيق نسبة ٢.٥٪ على رصيده. ويحتسب صافي رأس المال العامل – كما هو معروف – حسب المعادلة الآتية:

صافي رأس المال العامل = إجمالي الأصول المتداولة والجاهزة – الخصوم المتداولة

ويتم تسجيل رصيد الزكاة في حساب (مخصص زكاة العروض).

[1] شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي ١-١٠ ج ٢.

ويرحل رصيدا حسابي (مخصص زكاة الزروع) و(مخصص زكاة العروض) إلى حساب (مخصص الزكاة) .

ثم يتم صرف حساب (مخصص الزكاة) في وجوه استحقاقاته التي حددتها الآية الكريمة : **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** (التوبة : ٦٠) .

ويكون الصرف من حساب (مخصص الزكاة) دورياً أو دفعة واحدة في الوجوه التي حددتها الآية الكريمة المذكورة بحسب فقه الأولويات والضروريات .

ويوضح الجدول الآتي بنية حسابات مراكز التكلفة :

مراكز التكلفة وتفريعاتها عن الحساب الرئيسي (٥)

	5	مراكز تكلفة الأنشطة الزراعية
	51	مركز إنماء النباتات
5101		إنماء النباتات دفعة ١
5102		إنماء النباتات دفعة ٢
5103		... وهكذا
	52	مركز تقليم النباتات
5201		تقليم النباتات دفعة ١
5202		تقليم النباتات دفعة ٢
5203		... وهكذا

ولا يصح إقفال حساب (مخصص الزكاة) في قائمة دخل الشركة، بل يُقفل في الحسابات الجارية للشركاء، لأن الزكاة ليست عبئاً قابلا للنقل للغير؛ بل هو حق مفروض من الله عز وجل في حق المسلم المكلف، لذلك يقفل في جانب المدين من جاري الشركاء .

وفيما يلي مقترح لبنية شجرة الحسابات المساعدة في احتساب زكاة الزروع ضمن حسابات الشركة، وذلك على الشكل الآتي :

تبويب حسابات التكاليف المباشرة للأنشطة الزراعية

			35	التكاليف المباشرة للأنشطة الزراعية
		351		التكاليف المباشرة لإنماء النباتات
	35101			إنماء النباتات دفعة ١
351011				مواد
351012				أجور
351013				مصاريف مختلفة
	35102			إنماء النباتات دفعة ٢
351021				مواد
351022				أجور
351023				مصاريف مختلفة
		352		التكاليف المباشرة لتقليم النباتات
	35201			تقليم النباتات دفعة ١
352011				مواد
353012				أجور
352013				مصاريف مختلفة
	35202			تقليم النباتات دفعة ٢
352021				مواد
352022				أجور
352023				مصاريف مختلفة

وبناء على ما سبق يظهر حساب مركز تكلفة (إنماء النباتات دفعة أولى) محملاً بما يخصه من تكاليف، على النحو الآتي :

ح/ إنماء النباتات (٥١٠١)

xxx	مواد مباشرة ح/ ٣٥١٠١١	*xxx*	بضاعة محولة لمستودع شبه الجاهز أو الجاهز
xxx	أجور مباشرة ح/ ٣٥١٠١٢		
xxx	مصاريف مختلفة ح/ ٣٥١٠١٣		
xxx		*xxx*	

كما يظهر حساب (مخصص زكاة الزروع) على النحو الآتي :

ح/ مخصص زكاة الزروع (٢٤١)

	xxx ٥٪ من رصيد ح/ ٥١٠١
	xxx ... وهكذا
xxx الرصيد يحول إلى ح/ مخصص الزكاة	
xxx	xxx

يستفاد محاسبياً من تفريع شجرة الحسابات الموضح في المثال أعلاه؛ مراقبة تكاليف مراكز التكلفة، وطريقة تغيرها سلباً أو إيجاباً؛ لاتخاذ القرارات التصويبية الأفضل بغية تطوير العمليات الإنتاجية والتسويقية والإدارية لتحقيق الكفاءة والحرص والنفع.

حماة – حماها الله – بتاريخ ٢٣ محرم ١٤٤١ هـ والموافق ٢٢ أيلول (سبتمبر) ٢٠١٩ م

المجلة الدولية للعلوم التربوية النفسية

International Journal of Psycho-Educational Sciences IJPES

مجلة علمية محكمة تصدر منذ عام ٢٠١٢، ثلاثة أعداد في السنة؛ أبريل، وسبتمبر وديسمبر

العلمية	تصدر المجلة عن جامعة كاي. يقرر اثنان من المحكمين صلاحية المقال أو البحث؛ فيما إذا كان محققاً للمعايير العلمية السليمة؛ من حيث منهجيته، وحداثة موضوعه، وإضافته للأدبيات، وإسهامه فى خدمة المجتمع العلمي فى مجال التخصص.
الأهداف	المجلة الدولية للعلوم التربوية النفسية؛ مجلة علمية تقدم مساهمات أصيلة من المعارف والعلوم الاجتماعية؛ مع التركيز على التعليم والقضايا التي يتم استكشافها في فروعه؛ كالتعليم عموماً، والتربية الخاصة، وعلم النفس التربوي، وعلم اجتماع التربية، والتعليم الاجتماعي؛ بما في ذلك قضايا العمل الاجتماعي، والطفولة المبكرة، والتعليم الابتدائي والثانوي، والتعليم العالي، والتعليم المهني، والتعليم البديل، والتعليم المستمر، والتعليم عن بعد، والتعليم المقارن والدولي، والتعليم متعدد اللغات والثقافات، إضافة إلى تاريخ التعليم.
التقييم و الفهرسة	- Index Copernicus, link - Scientific Indexing Services, link - Academic Keys “Unlocking Academic Careers”, link - Academic Resource Index “ResearchBib”, link - WorldCat OCLC, link - Google Scholar, link - Indian Journals Index (IJINDEX), link - ROAD, the Directory of Open Access Scholarly Resources, link - CiteSeerX, link - BING, link
الدولية	أعضاء هيئة التحرير والمراجعين والمؤلفين من أفريقيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وآسيا؛ على سبيل المثال: مصر، بولندا، تركيا، الإمارات العربية المتحدة، الولايات المتحدة، الأرجنتين، فلسطين، اليابان، الصين، البرازيل، كرواتيا، الأردن، سوريا، ألمانيا، سنغافورة، الهند، اليونان، أسبانيا، البيرو، كولومبيا، إيطاليا، لبنان، الجزائر، المملكة المتحدة، كوسوفو، المملكة العربية السعودية.
الرسوم	لا يوجد تكاليف مقابل التقديم والنشر.

الملخصات والنصوص متوفرة مجاناً عبر الإنترنت لجميع الجامعات والمؤسسات في جميع أنحاء العالم رابط المجلة، شروط النشر

للمراسلة: رئيس تحرير المجلة: أ. د. مراد على عيسى، نائب رئيس جامعة كاي للدراسات العليا والبحوث

الموقع الإلكتروني
لمجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية بحلته الجديدة

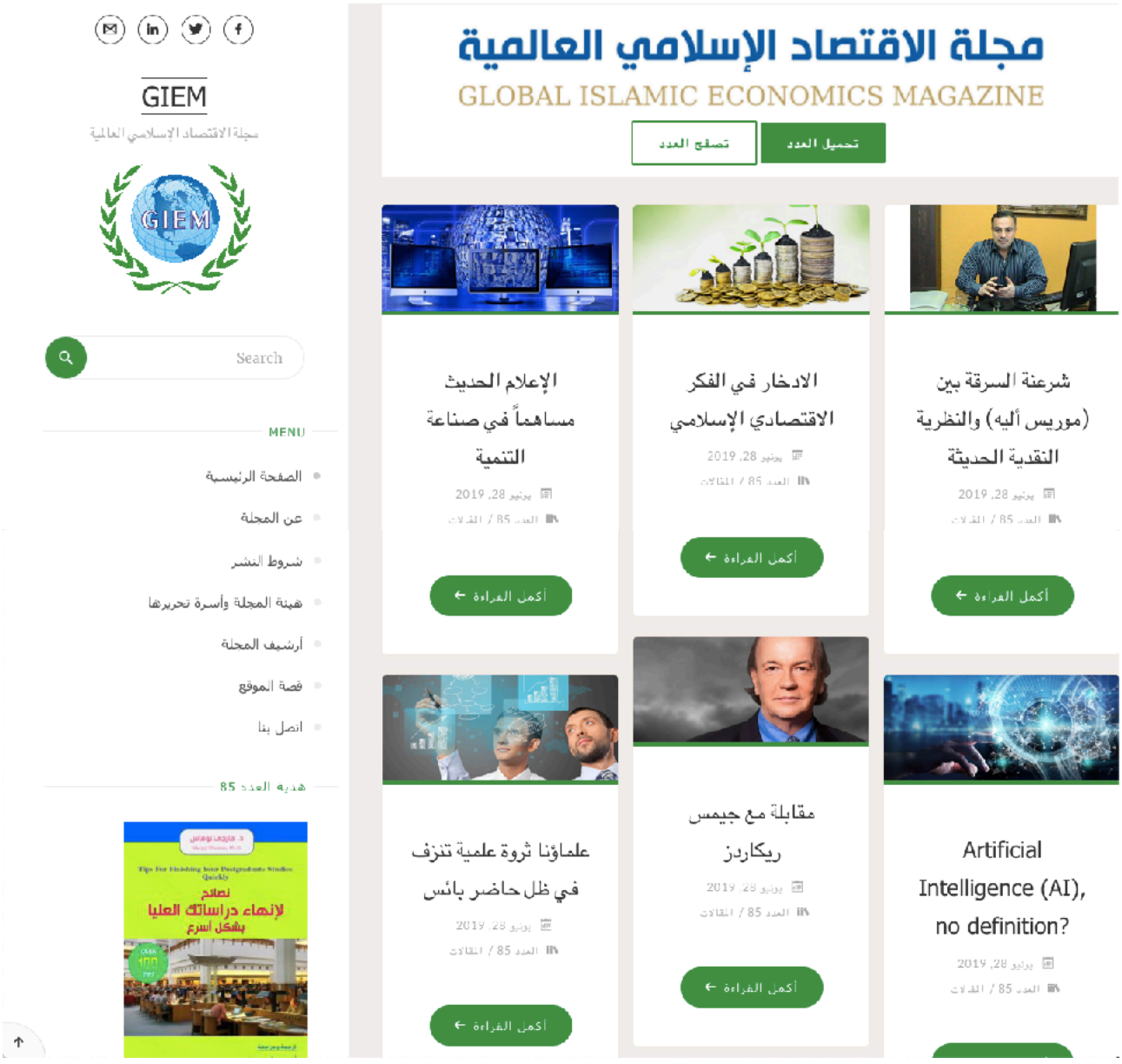

www.giem.info
https://giem.kantakji.com

الجوانب الاقتصادية من الهجرة النبوية

د. الامام بله طيب الاسماء حمد

السودان - جامعة وادي النيل - قسم الاقتصاد الإسلامي

إن هجرة الصحابة رضوان الله عليهم أولا من مكة لشتى بقاع الأرض كالحبشة مثلا؛ ثم هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة إلى المدينة المنورة من بعد لم تكن نزهةً ورحلة؛ ولكنَّها مغادرةٌ للأهل، الأرض، والمال، وأسباب الرِّزق، والتَّخلِّي عن كلِّ ذلك من أجل العقيدة والتَّربية الإيمانيَّة العميقة. الهجرة إلى المدينة كانت بمثابة تخفيفا عن النفس والمال والأهل؛ فتركوا الأموال، وتركوا التجارات، وتركوا بيوتهم، مهاجرين إلى الله ورسوله، للاستخلاف في الأرض وإقامة الدين والدولة الإسلامية بدلا من دولة الدعوة الأولى مكة المكرمة.

أولا: أسباب الهجرة: المعارضة والمقاطعة

معارضة الحق: إن من أسباب معارضة الدعوة هو الحرص على المكانة والرئاسة والجاه من ملوك الكفار الذين علموا بنبوته وصدقه، وأقرُّوا بها باطنا، وأحبوا الدخول في دينه، ولكن خافوا على ملكهم، فأعلنوا حربهم لهذا الدين تخوفا من انتشاره وخاصة المساواة بين أفراد المجتمع (الغني منه والفقير، والذي يجعل حقا للمرأة والصبي)؛ فكانت الخطوات الآتية:

- **صحيفة المقاطعة**: وجدت قريش أن المسلمين في مكة يزدادون يوما بعد يوم، وأن صنوف التعذيب لم تثنهم عن دينهم، وأن مهاجري الحبشة يتمتعون بحماية ملكها، ومسلمي مكة يجاهرون بصلاتهم منذ إسلام عمر – رضي الله عنه –، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ممتنع ببني هاشم؛ لذا فكرت قريش في مواجهة شاملة تواجه بها محمداً وأصحابه ومن يناصرهم فاتفقوا على مقاطعة بني هاشم؛ وكان الجانب الاقتصادي من ضمن المقاطعة حاضرا؛ فلا **يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون** منهم حتى يسلّموا محمداً إليهم فيقتلوه.
- **وفاة السيدة خديجة – رضي الله عنها** – وهي تمثل وزارة المالية بالمفهوم الحديث للدولة إذ إنها تنفق مالها خدمة لدين الله ومحبة في رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.
- **فرض الحصار على بيته**: اتفق مشركوا مكة في دار الندوة على قتله – صلى الله عليه وسلم –؛ (ولولا عناية الله سبحانه وتعالى لنبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – لكان هناك القتل أو الحبس داخل البيت

وبمقدورهم منع وصول الطعام إليه وهذا ما يعرف بالإقامة الجبرية، وهذه من الوسائل التي مازال استخدامها مستمراً.

- **انتشار الإسلام في المدينة**: منذ أن أُمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بنشر الدَعوة الإسلامية، لم يترك مكاناً أو مناسبةً يتجمَّع فيها النَّاس إلا وسعى إليهم عارضاً عليهم نفسه وما جاء به من عند الله، خاصَةً في موسم الحج وأيام أسواق العرب؛ فما إن يعلم بقدوم أحد من العرب إلى مكة إلا وتصدى لهم، فيعرض عليهم ما عنده، ويدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنَه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويقوموا معه، فمنهم من كفر وصد، ومنهم من آمن وصدق. فكانت بيعتا العقبة؛ اقتصرت الأولى على مبايعته على ألا يشركوا بالله شيئا، وألا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، وأن يطيعوه في المعروف، وكان هدفه – صلى الله عليه وسلم – من ذلك أن يبني فردا مؤمنا يتَصف بعقيدةٍ سليمة، وبأخلاقٍ حميدةٍ فاضلة. أما البيعة الثانية فكانت المبايعة على خمسة أمور في غاية المشقة والشدة؛ فطبيعة هذه المرحلة لا تحتمل الغموض وسوء الفهم، بل إن بناء الأُمة الصالحة القوية يحتاج إلى عطاء وكفاح، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: (تُبايعوني على السَّمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى **النفقة** في العسرِ واليسر، وعلى الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكُم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرِب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفُسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة).

ثانيا: الجوانب الاقتصادية للهجرة النبوية من غار ثور إلى المدينة

- **تسليم الأمانات**: كان الناس في مكة يضعون ما يخشون عليه أمانة لدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما يعلمون من صدقه وأمانته؛ فالأمانة: عفة الأمين عما ليس له به حق. وتتضمن هذه الخطوة تسليم الودائع لأهلها لذا أوصى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علياً – رضي الله عنه – يقوم بتوزيع الأمانات المودعة لدى رسول الله لأصحابها. لقوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**.
- **الإنفاق في سبيل الله**: قال ابن إسحاق: ... لما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخرج أبو بكر معه ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره. فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلت: كلا يا أبتاه إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. قالت:

وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبتاه ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

- **المخاطرة بالمال والولد**: كان أبناء أبي بكر عبد الله وأسماء – رضي الله عنهم – ما يذهبان إلى غار جبل ثور يحملان الخبر والطعام، قالت أسماء – رضي الله عنها –: لما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي ثم انصرفوا.

كذلك خاطر أبو بكر بماله للمصادرة فيما لو علمت قريش بذلك، لأن عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا.

- **الذهاب إلى غار جبل ثور**: ومكثوا فيه ثلاثة أيام، كان عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء يحملان الأخبار والطعام والماء إليهما، وبعد أن مكثا في الغار ثلاثة أيام ركبا صوب يثرب وكان عبد الله بن أريقط" دليلا لهما قطعوا المسافة في ثمانية أيام ووصلوا إلى قباء ضاحية يثرب يوم الأثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول.
- **الاستئجار**: استأجر عليه الصلاة والسلام عبد الله بن الأريقط رغم أنه مشرك لمعرفة بضروب الصحراء للقيام بعملية الرحلة من مكة الي المدينة، وهنا يمكن القول الاستعانة بغير المسلم، كما هو الحال فيما بعد عندما رهن درعه عليه الصلاة والسلام لليهودي مقابل شعير لأهل بيته – رضي الله عنهم – في "صحيح البخاري" من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: (توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير). وكذلك أخرج هذا الحديث الترمذي في جامعه عن ابن عباس قال: توفي النبي – صلى الله عليه وسلم – ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله. لذا يمكن القول **بجواز الاستعانة بالكافر المأمون**.
- **الإغراء بالمال**: أعلنت قريش في نواديها بمكّة جائزة أو جُعلٍ يقدر بمائة من الإبل مقابل أنَّه من يأتِ بالنَّبيِّ محمدٍ – صلى الله عليه وسلم –، حيا، أو ميتا، سماها سراقة بالدية قال: قلت له يا رسول الله: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، هنا نستشف من الأمانة والصفات التي كانت موجودة عند العرب، كان بالأحرى من عبد

الله بن الأريقط أن يسلمهما لكافر قريش ويفوز بالمائة ناقة، لكنه قبل الأجرة.

وكذلك استمرارية الوسيلة في عصرنا الحديث وهي مازالت تستخدم للتشفي من الخصوم. يلاحظ من هذه الوسيلة (الإغراء بالمال) الصفات الحميدة التي كانت موجودة في الجزيرة العربية والتي قال عنها المصطفى – صلى الله عليه وسلم –: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، بمعنى كان بإمكان خبير الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يخون الأمانة ويقوم بتسليمهم لصناديد قريس، لكنه آثر بالأجرة وتعفف عن الجائزة.

- **ضيافته – صلى الله عليه وسلم – في خيمة أم معبد**: استغرقت الرحلة من مكة إلى المدينة ١٤ يوما حيث المسافة ٤٨٠ كم، والقوافل تستغرقها عادة في ١٠ أيام، لكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – استغرقت هذه المسافة في ١٤ يوما، لأنه قضى في غار "ثور" ثلاثة أيام، وثلاثة في قباء، وكان السير في الصحراء ثمانية أيام.

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين خرج من غار جبل ثور متجها إلى المدينة، هو وأبو بكر – رضي الله عنه –، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي، مرُّوا على خيمة أم معبد الخزاعية وكانت امرأة كبيرة في السن، **فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك**، وكان يمر عليهم سنين عجاف قد نفذ زادهم، وأصابهم القحط، وهنا لابد من وقفة اقتصادية هي مسألة التوكل على الله بمعنى رجل معدم يترك زوجته معدمة في فلاة ويأتي مساء يصيب شيئا من الأكل أو مما ما تدره أغنامهم من اللبن وهذا ما يقودنا لحديث عمر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطانا)، رواه الترمذي، وبما أن طعام اللبن هو الأفضل على سائر الأطعمة؛ حيث جاء ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن). رواه الشيخان البخاري ومسلم.

وفي حديث الإسراء والمعراج عن أنس – رضي الله عنه – قال: (إن جبريل عليه السلام جاء للنبي – صلى الله عليه وسلم – بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار الرسول – صلى الله عليه وسلم – إناء اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة).

وعندما لم يجدوا شيئا **يبتاعوه من أم معبد** طلبوا **الضيافة** بالآتي نظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

إلى شاة عجفاء في جانب الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم تعني أنها هزيلة لا تقدر على المشي مع الغنم، قال عليه الصلاة والسلام: (هل بها من لبن)، قالت: هي أجهد من ذلك، تعني أنها لضعفها لا يمكن أن يكون بها من لبن، فقال عليه الصلاة والسلام: (أتأذنين لي بأن أحلبها)، لما رأت عليه من مخايل النبوة ومهابة الفضل والشرف قالت له إن بها حلبا فاحلبها، فدعا بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله جل ثناءه، ودعا لها في شاتها، فتحت ما بين رجليها للحلب؛ لكثرة ما اجتمع في ضرعها من اللبن ببركة دعائه ومسحه عليه الصلاة والسلام، قالت: ودرت واجترت، فدعا بإناء يكفي لإشباع الرهط فبدأ – صلى الله عليه وسلم – وسقى رسول الله أم معبد حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم.

إن من تواضعه وكرمه أن بدأ بصاحبة الدار، ثم أعطى أصحابه، يخدمهم وهو أشرف الخلق، ثم شرب بعدهم، فلم يتقذر مما شربوا. وقالت أم معبد: ثم أراضوا؛ أي: شربوا مرة بعد مرة، وهو ما يسميه العرب العلل بعد النهل، قالت: ثم حلب فيه ثانياً بعد بدءٍ حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، وبايعها وارتحلوا عنها، فقلّ ما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا.

- **نفقات الضيافة**: تُعدّ الضيافة أفضل القيم والعادات الإسلامية الحسنة التي تبناها الإسلام، لذلك عندما وصل الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه إلى قباء نزلوا ضيوفا عند بني عمرو بن عوف بن مالك وهم سكان المنطقة، والضيافة تعنى في الاصطلاح إكرام الضيف والإحسان إليه. وفسر العلماء ابن السبيل في قوله تعالى: **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** (سورة البقرة: ١٧٧) بأنه الضيف. وفسر قوله تعالى: **لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ** (سورة النساء: ١٤٨). هو الرجل الذي ينزل بالرجل لا يحسن ضيافته.

وقيل أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مكث فيها أربعة عشر يوما. أسس فيها مسجد قباء وهذا ما أورده

ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير والتاريخ: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نزل في بيت كلثوم بن الهدم، وكان يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة؛ لأنه كان عزبا وينزل عنده عزاب المهاجرين. وأقام النبي – صلى الله عليه وسلم – بقباء أربعة عشر يوما على أصح أقوال أهل العلم أسس فيها مسجد قباء ثم بعدها إلى المدينة المنورة وما مره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدار من ديار الأنصار إلا طلبوا الضيافة والإقامة.

- **الهدية**: التهادي بين الناس أمر مرغب فيه شرعاً وعادة، قال الله تعالى عن ملكة سبأ: **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** (سورة النمل).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (لو أُهديت إليّ ذراع لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأَجبت) (رواه البخاري).

روى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (تهادوا تحابوا) رواه البخاري، لذا نجد أن الزبير بن العوام جاء بهدية إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأبي بكر – رضي الله عنه – وهي عبارة عن **قميصين أو جلبابين أبيضين**، قبلهما رسول – صلى الله عليه وسلم –.

وذكر محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) لما نزل رسول الله بقباء أتى سلمان الفارسي الذي طالما انتظر مجيئه، جاءه من المدينة بكيس من التمر، وقال: هذا صدقة تصدقت بها عليكم وهو يريد بذلك اختباره، فقال الحبيب – صلى الله عليه وسلم – إنّا لا نأكل الصدقة، وأمره أن يتصدق بها على غيره، وانصرف سلمان وعاد في اليوم الثاني ومعه تمر آخر وقدمه للرسول – صلى الله عليه وسلم – وقال: هذه هدية قدمتها لك، فقبلها – صلى الله عليه وسلم – ودعا له بخير. وهنا أعلن سلمان إسلامه.

- **الهبة**: تعد الهبة مستحبة، إذا قصد بها التقرب لله تعالى، كالهبة لفقير، أو صلة رحم، وتكره إذا كانت بهدف التباهي، أو الرياء، أو من أجل السمعة. **ليكون** الهدف منها الإحسان وتمتين روابط المحبة بين الناس وذاك مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.
- ركب النبي – صلى الله عليه وسلم – ناقته هو وأصحابه في قباء صوب المدينة والتي كانت تعرف بيثرب ومعناه الفساد؛ فحول اسمها إلى طيبة. وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وهو يصلي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين. وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل وهما غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة؛ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين بركت به راحلته: (هذا إن

شاء الله المنزل). ثم دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بنى مسجده.

- **ضيافته عند أبي أيوب** – رضي الله عنه –: كان أبو أيوب مثالاً يقتدى به في حسن الضيافة والإيثار، ومن الجدير بالذكر أن الأنصار بذلوا كلّ ما في وسعهم لاستضافة إخوانهم المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم، حتى استحقّوا بذلك ثناء الله تعالى، قال عز وجل: **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (سورة الحشر: ٩).
- سمع حبرٌ من أحبار اليهود اسمه عبد الله بن سلام هو أحد المستقبلين للنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، **وأطعِموا الطَّعامَ**، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ)؛ فأعلن إسلامه.

ثالثاً- الاقتصاد بعد الهجرة في المدينة: حال النشاط الاقتصادي في المدينة قبل مجيء الإسلام:

ا. **عامة الناس كانوا**: ما بين مزارع، وراعٍ للشياه والإبل، وصيّاد، وصانع، وجامع للحطب، هكذا كان وضع الاقتصاد قبل مجيء رسول الله.

ب. **بينما كان اليهود**: يسيطرون على موارد التجارة، ويتعاملون بالربا، ويتحكمون بالأسعار، هؤلاء الذين يتعاملون في الاقتصاد لا تحكمهم قيم أخلاقية، ولا شريعة دينية، إنما يسود بينهم الاستغلال، والسيطرة، والغش، والفساد، والظلم، ومع توارث الأساليب القديمة التي وجودوها في مجتمعهم.

ت. **مجتمع المدينة**: عندما وصل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة وبدأ بناء كيان الدولة الإسلامية وآخى بين المهاجرين والأنصار وكان في المدينة في تلك الفترة ثلاثة أحزاب مختلفة: **المهاجرون والأنصار** وهم نواة الإسلام، **المنافقون** كانوا يتألفون من الذين يخفون ميلهم إلى عبادة الأوثان، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، وكان عبد الله يطمع أن يكون ملكا على المدينة وهذه الطائفة قد وصفها القرآن بالمنافقين؛ فيقول: **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ**

لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (سورة المنافقون : ١) . **الأحزاب في المدينة وهم اليهود** الذين يكنون ضغائنهم ويضمرون العداوة والبغضاء والحسد، فتحزبوا ضد المسلمين وأصبحوا الأشد خطرا على الدولة الإسلامية فيما بعد .

- **الإيثار وتقاسم الاموال بين المهاجرين والأنصار**: الإيثار هو التقديم والتفضيل، وهو دليل على رسوخ الإيمان والثقة في ما عند الرحمن، وهو علامة حب المرء لإخوانه، وبرهان على سلامة النفس من الجشع والأنانية والطمع، فالإيمان يقتضي أن يجود المؤمن بما لديه في سبيل إخوانِه، وهذا ما دعت إليه السنة النبوية الشريفة في حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنَفْسِه) .

ا. نماذج لإيثار الأنصار: ضرب الأنصار المثل الأعلى في الحب والإيثار لإخوانهم المهاجرين حين قدموا عليهم مهاجرين بدينهم، لا يملكون شيئاً، فالمهاجرون جاؤوهم من مكة لا يملكون شيئا، حيث خرج كل واحد بما يلبسه فقط، مع أن منهم الأغنياء، والتجار، بينما أهل المدينة زراع، والمهاجرون لا يستطيعون العمل بالزراعة. وما حصل كان فوق الخيال؛ يقول الصحابة: ما من مهاجر دخل المدينة، إلا بالقرعة من كثرة تكالب الأنصار على من يأتيهم من المهاجرين، كل منهم يريد أن يضيفه.

ب. الإيثار عند سيدنا سعد بن الربيع الأنصاري – رضي الله عنه –؛ حيث نزل عليه سيدنا عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – من المهاجرين، قال له يا أخي: هذه أموالي أجمعها لك – من السوق – أقسمها بيني وبينك، هذا نصفي وهذا نصفك، وهذه هي الأراضي التي أمتلكها أقسمها بيني وبينك، وهذا هو بيتي، وإني متزوج بامرأتين آتي لك بهما حتى ترى أيها تحب لأطلقها لك وتتزوجها بعد أن تفي عدتها، إنه الإيمان والحب والأخوة الصادق، إنه الإيثار، الذي اندثر في زماننا هذا.

ت. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما هاجر وصحابته إلى المدينة ذهب إلى الأنصار وقال لهم عن المهاجرين: إخوانكم تركوا الأموال والأولاد وجاءوكم، لا يعرفون الزراعة، فهلا قاسمتموهم؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، نقسم الأموال بيننا وبينهم بالسوية، والرسول النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقصد مساعدتهم فقط؛ فقال لهم النبي أو غير ذلك؟ فقالوا له وماذا بعد يا رسول الله؟ قال تقاسمونهم الثمر لأنهم لن يستطيعوا التصرف بالأموال أو الخروج من المدينة لأنها محاصرة فقالوا: نعم يا رسول الله، بمَ يا رسول الله، فقال: بأن لكم الجنة؛ فكان الأنصاري يعمل طوال العام وعندما يثمر الزرع يأخذ التمر

ويذهب به إلى المهاجر قبل أن يذهب إلى بيته، فلا يجلس ليختار الأفضل؛ فيذهب بالتمر كله لأخيه يقول له: اختر ما تشاء، وإني سأتركك ساعة حتى تتخير ما شئت حتى لا يحرجه ثم يعود فيكون المهاجر قد اختار الثمر غير الجيد ويظلون يتشاجرون، كل منهما لا يوافق أن يأخذ الآخر.

ث. لما فتحت خيبر وكثر المال قال النبي للأنصار: جزاكم الله خيراً قد وفيتم بالشروط، فقالوا للنبي يا رسول الله: اشترطت شرطاً واشترطنا شرطاً، وها نحن قد وفينا وإنا لنا عندك الجنة، قال: لكم بما وفيتم. كان الأنصاري يستضيف أخاه من المهاجرين وليس في بيته من الزاد إلا قوت صبيانه فيؤثره على نفسه وعياله قائلاً لزوجه: نومي صبيانك واطفئي السراج وقدمي ما عندك للضيف ونجلس معه إلى المائدة نوهمه أننا نأكل معه ولا نأكل ويجلسون إلى المائدة ويأكل الضيف وحده ويبيت الزوجان طاويين ويغدو الأنصاري إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ فيقول له: (لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة).

لقد مدح الله تعالى مواقف الأنصار العظيمة في سورة الحشر فقال: **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (الحشر: ٩). وولفضلهم ومكانتهم أورد الإمام البخاري رحمه الله باباً خاصاً بهم سماه باب مناقب الأنصار، ذكر فيه مجموعة من الأحاديث الشريفة في فضائلهم – رضي الله عنهم –، كقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) وقال أيضاً: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ).

السمات العامة للبتكوين واقتصادياتها

رمزي بن عبد الله بن أحمد حسان

الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

لفتت البتكوين أنظار الباحثين الاقتصاديين إليها، بقوة انتشارها واشتهارها، الأمر الذي جعلنا نمعن النظر في سياساتها الاقتصادية، سلبياتها وإيجابياتها، حتى نفهم هذا التيار الجامح من التاثير في الاقتصاد النقدي الورقي.

قام الباحث بكتابة رسالته للماجستير في تخصص الاقتصاد الإسلامي في هذا الموضوع، في قسم الاقتصاد الإسلامي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، فجزى الله مشايخنا عنا خير الجزاء.

وهذه الأسطر إنما هي استلال من الرسالة التي أرجو أن ترى النور قريباً إن شاء الله.

وستتناول هذه الاسطر اولاً: تعريف البتكوين، وثانياً: المفاهيم الرقمية والبرمجية للبتكوين، راجيا من الله النفع بها، لأرى ملحوظات السادة القراء وتصويباتهم على هذا العمل المتواضع.

تعرف البتكوين أنها: عملات رقمية لا تصدر عن أي حكومة أو بنك أوتنظيم، والاعتماد على بروتوكولات التشفير وشبكة موزعة من للمستخدمين[١]. أو: (هي شبكة لا مركزية من العملات الرقمية والتي تستخدم نظام النظير للنظير للتحقق من المعاملات ومعالجتها بدلا من الاعتماد على أطراف ثلاثة موثوق بها، مثل البنوك والبطاقات، كما أنها تستخدم نظام التشفير لمعالجة المعاملات والتحقق من شرعيتها[٢]. كما تعرف أنها: (عبارة عن مجموعة من المفاهيم والتقنيات التي تشكل أساس المال الرقمي وتستخدم وحدات العملة لتخزين ونقل القيمة بين المشاركين في شبكة بيتكوين وذلك بالتواصل بينهم باستخدام بروتوكول بتكوين المتوفر كبرنامج مفتوح المصدر على مجموعة واسعة من أجهزة الحوسبة بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر المحمولة والهواتف الذكية مما يجعل التكنولوجيا يمكن الوصول إليها بسهولة[٣].

المفاهيم الرقمية والبرمجية

١ (quantitative analysis of the full bitcoin transaction) ورقة علمية للباحثان دوريت رون وعدي شامير-قسم علوم الحاسوب بمعهد وايزمان للعلوم. ص1

٢ (introduction to bitcoin)سيم كيي بون واخرون-ص14

٣ (mastring bitcoin) تاليف اندريس انتوبلوس-طبعت بواسطة –o reilly media-الولايات المتحدة-غرافنستين-الطبعة الأولى 2014م. ص1

إن مصطلح "شبكة بيتكوين" يشير إلى مجموعة من العقد تشغل بروتوكول "P2P"، والذي يعني الند أو النظير إلى النظير، دون إدارة مركزية لها، وهناك بروتوكولات أخرى مثل"Stratum"، والتي تستخدم للتعدين لسهولتها وقدرة أجهزة المحمول على التحكم فيها.

يتم توفير البروتوكولات من خلال خوادم توجيه البوابة الرقمية التي تصل إلى شبكة بيتكوين باستخدام بروتوكول "P2P"، الآتي توسيع تلك الشبكة إلى العقد لتشغيل بروتوكولات أخرى.

يشير مصطلح (شبكة بيتكوين الموسعة) للإشارة إلى الشبكة الشاملة التي تشمل بروتوكول P2P، وبروتوكولات التعدين -"pool mining protocols"-وبروتوكول -"the Stratum protocol"-، وأية بروتوكولات أخرى ذات صلة تربط مكونات نظام بيتكوين.

اكتشاف الشبكة:

عند رفع عقدة جديدة يجب اكتشاف عقدة بيتكوين أخرى على الشبكة من أجل المشاركة، لبدء هذه العملية يجب أن تكتشف عقدة جديدة واحدة موجودة على الأقل على الشبكة والاتصال بها، وهي غير ذات صلة بالموقع الجغرافي، لا يتم تعريف بنية شبكة بيتكوين جغرافيا. لذلك يمكن اختيار عقد البيتكوين الحالية عشوائيا للاتصال بنظيرٍ معروف، يعمل النظام عن طريق إرسال رسالة الإصدار، الذي يحتوي على معلومات تحديد أساسية، بما في ذلك:

- "PROTOCOL_VERSION": وهو ثابت يحدد إصدار بروتوكول "P2P" بيتكوين العميل (على سبيل المثال 70002).
- "NODE_NETWORK": قائمة الخدمات المحلية التي تدعمها العقدة حاليا فقط.
- "nTime":وقت التيار.
- "AddrYou": عنوان IP للعقدة البعيدة.
- "AddrMe":عنوان IP العقدة المحلية.
- "Subver":وهو إصدار فرعي يعرض نوع البرنامج الذي يتم تشغيله على هذه العقدة (على سبيل المثال: "/ساتوشي: 0.9.2.1/").
- "BestHeight":ارتفاع كتلة عقدة البلوكتشين.[1]

[1] Mastering Bitcoin مرجع سابق- ص144

- **الإنفاق المزدوج**: إذا حاول مستخدم احتيالي إرسال عملات البيتكوين الخاصة به لمستلمين اثنين في نفس الوقت، فهذا ما يطلق عليه الإنفاق المزدوج أو ما يسمى بالإنجليزية "double spending" وهنا يأتي دور التنقيب وسلسلة البلوكات حيث كلاهما موجود لخلق حالة من الإجماع في الشبكة حول أي المعاملتين سيتم تأكيدها واعتبارها صحيحة، وقد فسر الباحثان: د. حمود طارق ود. رقية وافية هذا الإنفاق المزدوج أنه وسيلة للتحايل تشبه إلى حد كبير ما يحدث في – إلغاء الفاتورة – في البطاقة الائتمانية مما يشكل خطراً كبيراً في حال عدم الثقة بين المتعاملين حيث يقوم المشتري فور شحن البضاعة بطلب إلغاء الصفقة ثم تصل البضاعة إلى المشتري ولم يقم بتحويل المال، إن هذا التفسير بعيد عن برمجيات البتكوين والتي يتطلب الاجماع الكامل على تأكيد شفرة واحدة فقط ولا يمكن بتاتا تواطؤ أجهزة الحواسيب في العالم على خطأ واحد(١).
- "bitcoin": دون حروف كبيرة، يتم استخدامها لتوصيف البتكوين كوحدة محاسبية. على سبيل المثال: "قمت اليوم بإرسال 10 "bitcoins" وغالباً ما يتم اختصارها أيضاً ل (BTC) أو (XBT)
- **البلوك**: البلوك أو المجموعة أو كما يسمى بالإنجليزية "block" هو سجل في سلسلة البلوكات يحتوي على العديد من المعاملات قيد التنفيذ يقوم بتأكيدها. في المتوسط، كل ١٠ دقائق تقريباً، بلوك جديد يحتوي مجموعة من المعاملات يتم إضافته إلى سلسلة البلوكات من خلال التنقيب.
- **التأكيد**: التأكيد أو ما يسمى بالإنجليزية "confirmation" يعني أن المعاملة قد تم معالجتها بواسطة شبكة البيتكوين وبشكل كبير لا يمكن عكسهاحيث إن جميع المعاملات يتم تأكيدها بعد تضمينها في وحدة "بلوك "ومن قبل كل بلوك تالٍ. إنَّ تأكيداً واحداً يمكن اعتباره آمناً للمعاملات ذات القيم الصغيرة، أما في المعاملات الأكبر كـ ١٠٠٠ دولار أمريكي أو أكثر، فمن المنطقي الانتظار حتى ٦ تأكيدات أو أكثر. كل تأكيد إضافي يقلل بشكل مضاعف من خطورة عكس المعاملة.
- **التشفير**: التشفير أو ما يسمى بالإنجليزية "cryptography" هو أحد فروع الرياضيات يتيح لنا إنشاء براهين رياضية ذات مستوى عالٍ من الأمان. ويمكننا القول بشكل أكثر دقة أن ال "cryptography" هو علم التشفير والتعمية معاً. في حالة البيتكوين يتم استخدام التشفير لجعل

١ البتكوين بين قياسية الارباح وتصاعد التحذيرات-د. حمود طارق واخرون-بحث منشور بمجلة الدراسات المالية والمصرفية لاكاديمية العلوم المالية والمصرفية –الاردن- (26/ع1)لسنة 2018م-ص28.

الأمر مستحيلاً لأي أحد يحاول إنفاق أي أموال من محفظة مستخدم آخر أو يقوم بمحاولة تخريب سلسلة البلوكات، يمكن استخدامه أيضاً لتشفير أي محفظة، حتى لا يمكن استخدامها من دون كلمة مرور.

- **التنقيب**: "mining" التنقيب عن عملات البيتكوين هو عبارة عن عملية جعل الكمبيوتر يقوم بعمل حسابات رياضية لصالح شبكة البيتكوين من أجل تأكيد المعاملات وزيادة الأمان. كمكافأة على خدماتهم تلك يستطيع معدِّنو البتكوين الحصول على رسوم المعاملات التي يقومون بتأكيدها بحواسيبهم الخاصة، بالإضافة إلى حصولهم على عملات البيتكوين المولدة حديثاً. التنقيب هو سوق تنافسي ومتخصص حيث يتم توزيع المكافآت تبعاً لكمية الحسابات التي تم عملها. لا يقوم كل مستخدمي البتكوين بالتنقيب، والتنقيب ليس طريقة سهلة لكسب الأموال[١].

ونظام المكافأت يعتمد على نظام العوائد المتناقصة –كما يصدر البنك المركزي النقودالجديدة– حيث تتناقص كل أربع سنوات أو كل (٢١٠٠٠٠) كتلة، وبدأت بالتناقص – وستستمر لمدة أربع سنوات متوالية – حيث كانت ب ٥٠ بتكوين لكل كتلة، وذلك في يانايير من عام ٢٠٠٩ م، ونزلت إلى النصف (٢٥ بيتكوين) لكل كتلة في نوفمبر من عام ٢٠١٢م، والنصف أيضاً أي (١٢.٥) في عام ٢٠١٦م – عند الكتلة ٤٢٠٠٠٠ –، وحتى مايقارب من عام ٢٠١٤م أو في بعض التقديرات أنها قبل ذلك بثلاثة أعوام، ستكون عمليات التعدين غير مجدية حيث يتوقع أن تصل البتكوين إلى الكتلة النقدية النهائية لها وهي ما يقارب من (٢١) مليون بتكوين[٢].

والشكل الآتي يوضح تزايد تعدين كتلة البتكوين رياضياً:

---

١ انظر أيضاً(Mastering Bitcoin)مرجع سابق-ص177

٢ (Incrementum-Crypto-Research-Report)-مرجع سابق-ص11/12*انظر أيضا: ?Bitcoin as Money ستيفاني لو وَ كريستينا وانق-منشور ضمن منشورات (current policy perspectives)الصادرة عن البنك الفيدرالي في بوسطن برقم 144-الصادر في 4سبتمبر2014م-ص3 *انظر أيضاً: (The social life of Bitcoin)-نايجل دود-بحث محكم بمجلة مدرسة لندن للاقتصاد وعلوم التقنية-(LSE)-2/2017م-ص10*(mastring bitcoin)-مرجع سابق-ص177-178. *انظر أيضاً: كتاب صادر عن مركز هردو لدعم التعبير الرقمي-القاهرة-2018م-ص6

```
# Original block reward for miners was 50 BTC
start_block_reward = 50
# 210000 is around every 4 years with a 10 minute block interval
reward_interval = 210000

def max_money():
    # 50 BTC = 50 0000 0000 Satoshis
    current_reward = 50 * 10**8
    total = 0
    while current_reward > 0:
        total += reward_interval * current_reward
        current_reward /= 2
    return total

print "Total BTC to ever be created:", max_money(), "Satoshis"
```

Running the script:

Example 8-2. Running the max_money.py script

```
$ python max_money.py
Total BTC to ever be created: 2099999997690000 Satoshis
```

شكل ١ يوضح تزايد البتكوين بيانياً – انظر (mastring bitcoin)مرجع سابق–ص ١٧٩ رسم توضيحي ١

ويوضح الشكل الآتي تعدين البتكوين بيانياً :

شكل ٢ يوضح تعدين البتكوين بيانيا – انظر (mastring bitcoin) ص ١٨٠

- **مجمعات التعدين – برك التعدين** (Mining Pools) : في ظل تلك البيئة التنافسية نجد المُعَدِّنين في نطاقهم الخاص يتعرضون لمخاطرة تعويض الكلفة الإنتاجية للتعدين من حيث كلفة الكهرباء وإهلاك

الأجهزة الحاسوبية ذات الكفاءة والقدرة العاليتين، فهي بهذا الشكل كلعبة الحظ بالنسبة لهم،؛ فهو لايعلم كم –بالضبط– ما سيحصل عليه، حتى إنَّ أسرع أنظمة التعدين–"ASIC mining system"– لايمكن أن تكون مضمونة الجدوى، لذلك ودفعاً لتلك المخاطر توجه الناس نحو الاستثمار أو التعدين الجماعي بنظام المجموعات التي يطلق عليها (بِرَك التعدين) لأجل التغلب على التكاليف وتفادي المغامرة الفاشلة، الآتي تقاسم الارباح بينهم كحصص الأسهم، ولفهم التكلفة والارباح المتوقعة سنقوم بضرب المثال الآتي: اشترى س معدات التعدين والتي تقوم بالتعدين بمعدل – ٦٠٠٠ – (GH/s – قيقاهاش في الثانية) والتي بلغت قيمتها (١٠٠٠٠) دولار أمريكي، الأجهزة أيضاً تستهلك كهرباء بمقدار (KW3) عند التشغيل، أي بمعدل ٧٢ (KW) ساعة/في اليوم، بتكلفة ٧–٨ دولار في المتوسط، وعلى قدر صعوبة التعدين الحالية فإن التعدين يقدر على فك كتلة كل ١٥٥ يوماً، أو كل ٥ أشهر، فإذا وجد عامل التعدين ذلك يستحق ٢٥ بتكوين، بموسط سعر صرف حوالي ٦٠٠ دولار، وسوف يؤدي بطبيعة الحال إلى صافي أرباح ١٥٠٠٠ دولار، سوف تفي بتغطية المصاريف خلال الفترة الزمنية مع أرباحٍ صافية بمقدار ٣٠٠٠ دولار، غير أنه من الجدير ذكره أنك قد لا تكسب في الأساس وتعاني من خسارة مالية لأسباب تقنية في أجهزة التعدين، وأيضا فإن أجهزة التعدين كل يوم في تطور وتقدم مستمر مما يجعل اللحاق بعصر السرعة أمراً مرهقاً مادياً. ولذلك يقرر الكثير من المعدنين الدخول ضمن تجمعات التعدين أو الشركات الكبرى بما يعادل صافي ربح ٥٠٠ دولار أو بالكثير ٧٥٠ دولار دولار، ولا ينطوي على مخاطر عالية مع قدرته على تغطية مصاريف الكهرباء والأجهزة. الآتي تقسم الأرباح كنسبة أسهم شركة المساهمة[١].

- **التوقيع**: التوقيع المشفر "signature" هو آلية رياضية تسمح لشخص ما بإثبات الملكية، وفي حالة البيتكوين، فإن محفظة البتكوين ومفاتيحها الخاصة يتم ربطهم معاً من خلال التشفير الرياضي عندما يقوم برنامج البيتكوين الخاص بك بتوقيع معاملة بالمفتاح الخاص المناسب، فإن الشبكة كلها يمكنها رؤية مطابقة التوقيع لعملات البتكوين التي تم إنفاقها. ومن المستحيل بأيَّ شكل كان تخمين الشفرات الخاصة بك[٢].

---

[١] Bitcoin as an example of virtual currency) (Modeling and Simulation of-مرجع سابق-ص14*انظر أيضاً: مايو 2016م-4/7. arxiv لويزيانا كوكو وميشيل ماركيسي-نشر the Economics of Mining in the Bitcoin Marke بتصرف*انظر أيضا: **Bitcoin: Economics, Technology, and Governance** "-راينربوهما واخرون-بحث علمي "-الصادرة عن الجمعية الاقتصادية الأمريكية-العدد 29 رقم 2-ربيع 2015م- *Journal of Economic Perspectives* بمجلة" ص222

[٢] Bitcoin: Technical Background and Data Analysis-أنطون باديف واخرون-مرجع سابق-ص8

- **العنوان**: عنوان البتكوين مشابه لعنوانك البريدي أو البريد الإلكتروني. وهو المعلومة الوحيدة التي يتوجب عليك إعطاؤها لشخص ما لكي يقوم بالدفع لك باستخدام البتكوين. ومع ذلك فهنالك فارق هام، وهو أن كل عنوان بتكوين يمكن استخدامه مرة واحدة فقط من أجل معاملة واحدة.
- **المحفظة**: محفظة البيتكوين أو ما تسمى بالإنجليزية "wallet" هي على نحو ما المكافئ للمحفظة المادية العادية ولكن في شبكة البتكوين، يعرف "راينر ونيكولا" المحفظة أنها: (ملفات تتضمن حسابات بتكوين والمفاتيح الخاصة اللازمة لإنفاق أو نقل القيمة المخزنة[١] إنَّ المحفظة تحتوي على مفتاحك الخاص والتي تسمح لك بإنفاق عملات البتكوين المرتبطة بها، إنَّ كل محفظة بتكوين يمكنك إدارتها والتحكم بها كالمحفظة المصرفية المعروفة[٢].
- **المفتاح الخاص**: المفتاح الخاص "private key" شفرة صغيرة سرية تؤكد ملكيتك وقدرة التحكم في إنفاق عملات البيتكوين من محفظة معينة من خلال التوقيع المشفر. المفتاح الخاص أو المفاتيح الخاصة المملوكة لك يتم تخزينها على جهاز الكمبيوتر الخاص بك إذا كنت تستخدم برنامج كمبيوتر كمحفظة، أو يتم تخزينه على سيرفر خاص إذا كنت تستخدم محفظة إنترنت. وفي حال إفصاح الشخص عن مفتاحه فكأنما سلم صلاحية التحكم لغيره.
- **الند-للند** "peer_to_peer" مصطلح يتم اختصاره "P2P" يشير إلى الأنظمة التي تعمل كمجتمع منظم، وتم بناء الشبكة بحيث يقوم كل مستخدم بنشر معاملات المستخدمين الآخرين على السجل العام. وبشكل يجعل الأمر لايتطلب وجود بنك كطرف ثالث.
- سلسلة البلوكات: سلسلة البلوكات أو كما تسمى بالإنجليزية "block chain" هي سجل عام لجميع معاملات البتكوين مرتبة زمنياً. سلسلة البلوكات يتم مشاركتها بين جميع مستخدمي البتكوين. يتم استخدام السلسلة من أجل التأكد من استمرارية معاملات البتكوين ولكي تمنع الإنفاق المزدوج[٣].

---

١ راينر بوهم وآخرون-بحث علمي منشور على (Bitcoin: Economics, Technology, and Governance Journal of Economic Perspectives) -Volume 29، Number 2 — Spring 2015 — Pages 213–238-ص220

٢ bitcoin system)-مرجع سابق-ص25

٣ منصات المعاملات البديلة والعملات الرقمية بين حرية التداول واشكاليات الرقابة-مرجع سابق-ص13-14

- **معدل الهاش**: معدل الهاش "hash rate" هو وحدة لقياس قدرة شبكة البيتكوين على المعالجة الرقمية لأغراض الأمان. فعلى سبيل المثال: عندما يصل معدل الهاش لشبكة البتكوين إلى ١٠ تيرا هاش/الثانية، فهذا يعني أن الشبكة يمكنها إجراء ١٠ تريليون عملية حسابية في الثانية الواحدة.
- BTC: هي الوحدة الشائعة لعملة البيتكوين. يمكن استخدامها بطريقة مشابهة للدولار الأمريكي بديلاً عن ฿ أو $[١].
- **الانكماش في البتكوين (Deflationary Money)**: هي (ظاهرة تقدير القيمة –ارتفاع الثمن– بسبب عدم التطابق في العرض والطلب)

يرى كثير من الاقتصاديين أن الانكماش هو كارثة ينبغي تجنبها بأي ثمن، لان فترة الانكماش السريع تجعل الناس تميل للاكتناز بدلاً من الإنفاق على أمل أن تنخفض الأسعار، وهذا هو الحال كما في (العقد المفقود Lost Decade) في اليابان. حيث كان الاقتصاد الياباني ينمو خلال ستينات القرن الماضي بنحو ١٠٪ سنوياً، وخلال السبعينات وأوائل الثمانينات نما الاقتصاد الياباني بنسب تراوحت ما بين ٤–٥٪، حتى صار الاقتصاد الياباني ثاني أكبر اقتصاد في العالم خلال الفترة بين ١٩٧٨–٢٠١٠م، حينما حل الاقتصاد الصيني محله كثاني أكبر اقتصاد في العالم، وأطل شبح الركود على بلد تعوَّد على النمو السريع والازدهار المستمر. فكانت النتائج :

- ارتفعت أسعار الأسهم وأثمان العقار إلى الحد اللا معقول، بحيث تحولت أسواق المال وأسواق العقار من أسواق استثمارية لتوسيع القاعدة الإنتاجية للاقتصاد الكلي إلى أسواق جشع ومضاربات، فانهارت "البورصة" اليابانية، وأدى انهيارها إلى جفاف قنوات التمويل والاستثمار. ففي نهاية العام ١٩٨٥م وصل مؤشر سوق المال الياباني الأهم "نيكاي Nikkei" إلى أقل من ١٣ ألفاً بقليل، وتابع ارتفاعه بسرعة حتى وصل خلال أربعة أعوام فقط إلى نحو ٤٠ ألفاً، أي تضاعف أكثر من ٣ مرات في فترة قصيرة.
- انفجرت "الفقاعة"، وبدأت رحلة الهبوط بسرعة. وخلال عامين ونصف العام من ١٢–١٩٨٩م إلى ٦–١٩٩٢م وصل "نيكاي" إلى نحو ٨ آلاف بعد أن كان قبل فترة وجيزة نسبياً وصل إلى نحو ٤٠ ألفاً[٢].

---

[١] bitcoin system)ورقة بحثية للباحث جان لانسكاي-نشرتها جامعة التمويل والإدارة بالتشيك(06/01-لسنة 2017)-ص20-
انظر موسوعة (https://bitcoin. org/ar/vocabulary#hash-rate)بتصرف.

[٢] Japan's Lost Decade:Origins, Consequences, and Prospects For Recovery)-غاري ار واخرون-بحث محكم منشور ضمن أبحاث ندوة(RESEARCH SEMINAR IN INTERNATIONAL ECONOMICS)-لجامعة ميشغان-2002م-(1-2-12)بتصرف

- بعد انفجار فقاعة اليابان الاقتصادية في أوائل التسعينيات، بدأ الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي في الانخفاض بشكل حاد. استمر هذا الركود طويل الأجل لما يقرب من ٢٥ عاما[١].
- لدى بتكوين الآن فقط ١٦ مليون في العالم، وبعد الانتهاء من تعدين جميع البتكوين سيكون عددها ٢١ مليون بتكوين فقط، بمعنى سيكون الطلب في ازدياد والكمية محدودة فيزيد السعر، إن البتكوين التي تضيع على أصحابها تضيع إلى الأبد فلا يمكن استرجاعها أيضاً كخطرٍ يهدد بقاء البتكوين، بما يعني أن البتكوين ستكون في انخفاض مستمر بينما الطلب في ارتفاع مستمر[٢].

.

[١] (Japan's Lost Decade:Lessons for Other Economies)ناويوكي ياشينو واخرون-بحث محكم بمجلة ADBI-institute—التابعة لمعهدبنك التنمية الاسيوي-العدد(521/ابريل2015)ص3

[٢] (bitcoin economics)-من إعداد ونشر —bit mex-الصادر في 30 مايو 2018م-ص11-13 بتصرف*انظر أيضا: (bitcoin mastring)-مرجع سابق-180-181.

التحليل الاقتصادي لكتاب: صندوق النقد الدولي قوة عظمى في الساحة العالمية لأرنست فولف

د. علي سيد إسماعيل

مدرس الاقتصاد الإسلامي والمعاملات ـ قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب ـ جامعة المنيا ـ مصر

- **الكتاب:**

الكتاب هو: صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، تلك هي ترجمته العربية، أما عنوانه كما في نسخته الأجنبية فهو: Weltmacht IWF: Chronik eines Raubzugs، لمؤلفه أرنست فولف Ernst Wolff[1].

وهذا الكتاب صدر باللغة الألمانية عام ٢٠١٤م، ويقال: "إنه قد طُبع منه أكثر من ثلاثة وأربعين ألف نسخة"، وقد ترجمه الدكتور عدنان عباس على للغة العربية، في إبريل عام ٢٠١٦م، في (٢٦٧ صفحة)، وقد نشر ضمن سلسلة عالم المعرفة الكويتية، وهي سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالمجلس الوطني للثقافة بالكويت، في العدد (٤٣٥).

غلاف الكتاب المترجم — غلاف الكتاب الرئيس

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ترجمة: عدنان عباس علي، نشر سلسلة عالم المعرفة، العدد ٤٣٥، أبريل ٢٠١٦.

- **المؤلف:**

هو البروفيسور: أرنست فولف، مواطن ألماني، ولد في عام ١٩٥٠م، وأمضى سنوات حياته الأولى في جنوب شرق آسيا، وترعرع فيها، ثم درس التاريخ والفلسفة في الولايات المتحدة الأمريكية، وعمل في عدة مهن منها: الصحافة، والترجمة، والكتابة للشاشة (نصوص وسيناريوهات الأفلام)[١].

كما أنه أكاديمي ألماني، وأستاذ الفلسفة في جامعة بريتوريا (جنوب أفريقيا)، درس اللغات، واللاهوت، والفلسفة في جامعة بريتوريا، وجامعة جوهانسبرج، وأخيراً في جامعة باريس الرابعة (السوربون).

وقد اهتم بالاقتصاد الحديث، لا سيما مرحلة ما بعد أزمة ٢٠٠٨م، وصندوق النقد الدولي، كما اهتم بخصائص العلاقات المتبادلة بين الاقتصاد والسياسة، وركز منظوره على الأزمة المالية الأخيرة عام ٢٠٠٨م، وأزمة اليورو، واهتم بدور صندوق النقد الدولي في إدارة الأزمات[٢].

- **المترجم:**

ترجم هذا الكتاب إلى العربية الدكتور: عدنان عباس علي، وهو من مواليد العراق، عام ١٩٤٢م، حصل على درجة الدكتوراه في العلوم الاقتصادية من جامعة فرانكفورت، وجامعة دارمشتاد عام ١٩٧٥م.

وهو أستاذ مشارك في كلية الاقتصاد، جامعة الفاتح (طرابلس ـ ليبيا)، كما عمل أستاذاً في العديد من الجامعات العربية.

له العديد من الإسهامات في التأليف، والترجمة في مجالات: الاقتصاد، والاجتماع، والأدب[٣]، كما أن له مجموعة من الدراسات والكتب والبحوث في الاقتصاد، منها[٤]:

- السياسة الاقتصادية بين النظرية والتطبيق.
- التحليل الاقتصادي بين الكنزيين والنقديين.
- وجهة نظر نقدية في التضخم الاقتصادي.
- المنهج النقدي في القوى المتحكمة في سعر صرف الأجنبي.
- دور المحافظ الاستثمارية في تحديد سعر الصرف الأجنبي (نموذج برانسون).

---

(١) مرتضى حسن، صندوق النقد الدولي: مقرض الملاذ الأخير، مجلة الخليج الاقتصادي، ٢/٢/ ٢٠١٥م.
(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٢٥٩.
(٣) كاتارينا مومزن، جوته والعالم العربي، ترجمة: عدنان عباس علي، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، بالمجلس الوطني للثقافة، الكويت، فبراير، ١٩٩٥م، ص٣٢٩.
(٤) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٢٥٩.

- الأساس النظري لبرامج التصحيح الاقتصادي المدعومة من قبل صندوق النقد الدولي.
- مخاطر التكامل المالي الدولي في البلدان النامية.

التحليل الاقتصادي لكتاب صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية

توطئة:

صندوق النقد الدولي هو وكالة متخصصة من وكالات منظمة الأمم المتحدة، نشأ بموجب معاهدة دولية في العالم، عام ١٩٤٥م؛ للعمل على تعزيز سلامة الاقتصاد العالمي.

ويقع مقر الصندوق في واشنطن، ويديره مجموعة من الأعضاء الذين يمثلون جميع بلدان العالم ـ تقريبا ـ بعددهم البالغ ١٨٤ دولة، وقد بدأ نشاطه الفعلي في مارس من عام ١٩٤٧م.

وقد أنشئ صندوق النقد الدولي للسعي الدؤوب لبناء نظامٍ اقتصادي عالمي جديد في نهاية الحرب العالميّةِ الثانية، لتجنب الوقوع في الإخفاقات والأزمات المتكرّرة.

ويمثل صندوق النقد الدولي أهمية كبرى على الساحة الاقتصادية الدولية(١)، وقد أصبح من أقوى المنظمات المالية الدولية، وشرع في ابتزاز البلدان، ونهب القارات، حارماً أجيالاً بأكملها من آمالها في المستقبل الأفضل، على مدى سبعة عقود تقريباً مضت منذ إنشائه حتى الآن(٢).

وثمة فروق بين صندوق النقد الدولي، International Monetary Fund والبنك الدولي World Bank، حيث إن الأول(صندوق النقد الدولي) يهدف إلى ضمان استقرار الأنظمة المالية، بما فيها سعر صرف العملات، ومساعدة الدول الأعضاء في وضع برامج لسياساتها الاقتصادية عند مواجهتها للمشاكل.

أما الثاني (البنك الدولي) فيهدف إلى تقديم المساعدات المالية والفنية للدول الفقيرة؛ لإجراء إصلاحات وتنفيذ مشاريع محددة، مثل: بناء المدارس، والمراكز الصحية، وتوفير المياه والكهرباء.

وفرق آخر بين المؤسستين وهو أن قروض (صندوق النقد الدولي) قصيرة الأجل نسبياً، في حين أن المساعدات التي يقدمها (البنك الدولي) طويلة الأجل، أما بالنسبة للتمويل، فيقوم الصندوق بتأمينه من مساهمات الدول

(١) دافيد دريسكول، ما هو صندوق النقد الدولي، ترجمة: محمد حسن يوسف، طبعة منقحة، يناير، ١٩٩٢م، ص٣.
(٢) مرتضى حسن، صندوق النقد الدولي: مقرض الملاذ الأخير، مجلة الخليج الاقتصادي، ٢/٢/٢٠١٥م.

الأعضاء في شكل اشتراكات للعضوية، وتعكس حصة كل دولة مركزها النسبي في الاقتصاد العالمي، فيما يؤمن البنك الدولي القروض للدول المحتاجة من مساهمات الدول الأعضاء(١).

وكان الهدف الرئيس ـ الظاهر للعيان ـ من إنشاء صندوق النقد الدولي هو تحقيق النمو الاقتصادي عقب الحرب العالمية الثانية، ومراقبة جميع السياسات الاقتصاديّة والماليّة في الدول الأعضاء في كل أنحاء العالم، وتقديم المشورة بشأن تلك السياسات، استناداً إلى الخبرة التي تم اكتسابها منذ تأسيسه، وتقديم القروض للدول الأعضاء، والتي تتعرّض لمشاكلٍ في موازين المدفوعات، بهدف تمويلها بشكلٍ مؤقت، ودعم سياسات الإصلاح والتصحيح التي ترمي إلى حل المشاكل الأساسيّة، وتقديم المساعدات الفنيّة، لحكومات الدول الأعضاء فيه.

وتلجأ الدول النامية إلى صندوق النقد الدولي؛ للمساعدة على مواجهة عبء الدين الخارجي، والعجز المزمن في ميزان المدفوعات والموازنة العامة، وتسارُع معدلات التضخم، وانخفاض معدلات النمو، فيشترط الصندوق لتقديم المساعدة تنفيذ برنامجه للإصلاح(المؤيد من البنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية)، والبرنامج يتضمن حزمة من السياسات، تشمل عادة: القطاع العام، والقطاع الخارجي، والسياسة السعرية، والسياسة النقدية والمالية(٢).

---

(١) صندوق النقد الدولي، اتفاقية تأسيس صندوق النقد الدولي(١٩٤٤م)،ترجمة: شعبة اللغة العربية بصندوق النقد الدولي، إدارة التكنولوجيا والخدمات العامة، الطبعة العربية، ٢٠١١م.

- Shakow, A.(٢٠٠٨). The Role of the International Monetary and Financial Committee in IMF Governance. International Monetary Fund , May, ٢٠٠٨. Retrieved April ٢٠١٨ ,١٤. available at: http://www.ieo-imf.org/ieo/files/completedevaluations/٠٥٢١٢٠٠٨BP٠٣_٠٨.pdf
- Krockow, B, Ramlogan, P.(٢٠٠٧). International Monetary Fund handbook: its functions, policies, and operations. Retrieved April ٢٠١٨ ,٢٢. available at: https://www.imf.org/external/pubs/ft/imfhb/eng/handbook.pdf

(٢) محمد عبد العظيم طلب، الإصلاح الاقتصادي: من عمومية الرؤية الدولية إلى خصوصية الحالة المصرية، دراسات مستقبلية، القاهرة، ع١١، يناير، ٢٠٠٦م، ص٤٧. وانظر:

- Chow, G. (٢٠٠٤). Economic Reform and Growth in China. ANNALS OF ECONOMICS AND FINANCE ,٢٠٠٤, P١٢٨. Retrieved April ٢٠١٨ ,١٨. available at: http://www.aeconf.com/Articles/May٢٠٠٤/aef٠٥٠١٠٧.pdf
- Italian Institute for International Political Studies.(٢٠١٥). Egypt's Economic Reform Agenda, A New Path for Growth, Med &Gulf Initiative Bulletin, No. ٥, July ٢٠١٥ ,٢٢ Special Edition, P٣. Retrieved March ٢٠١٨ ,٢٩. available at: https://www.ispionline.it/sites/default/files/pubblicazioni/medgulf_bulletin_٢٢_july_٢٠١٥_def_١.pdf

إهداء الكتاب:

جاء إهداء هذا الكتاب صادما للقراء، لأنه يتهكم ـ في إيجاز ـ على سياسات صندوق النقد الدولي الخادعة، التي لا تساعد الفقراء كما يدعي القائمون على الصندوق، والراسمون لسياساته، بل إنه يحرم الفقراء من كل حقوقهم، في الغذاء، والكساء، والتعليم، والصحة.

وقد ساعد هذا الإهداء ـ من وجهة نظري ـ على شهرة الكتاب، لا سيما بعدما نُشرت نسخته العربية، يقول أرنست فولف في إهدائه: "**هذا الكتاب هدية لبني البشر في إفريقيا، وآسيا، وجنوب أميركا، الذين لا يستطيعون قراءته؛ لأن سياسة صندوق النقد الدولي قد حرمتهم من الالتحاق بالمدارس**" !

وهذا صحيح؛ إذ إن برامج التسوية التي يطالب بها صندوق النقد الدولي تثير الكثير من الجدل حول مدى فاعليتها(١)، فضلاً عن أن تدخل صندوق النقد الدولي في تقرير السياسات الداخلية لدولة معناه شل مقدرة هذه الدول على اتخاذ القرار؛ حيث ينتقل مكان صنعه من العاصمة المحلية إلى واشنطن حيث مقر الصندوق(٢). الآتي فإن برامج الصندوق لا يمكن اعتبارها بديلاً عن الخطط الاقتصادية الوطنية التي تهدف إلى زيادة النمو الاقتصادي، ورفع مستويات التنمية في الدول، ولا بد من العمل على سن قوانين تسهم في تقديم بدائل اقتصادية تستند إلى الطاقات الوطنية(٣).

أهمية الكتاب وتفرده:

تتمثل أهمية الكتاب في حقيقة ما تم عرضه في داخله من حقائق واقعية، دون مداراة أو مواربة؛ حيث شن أرنست فولف هجوماً كاسحاً على صندوق النقد الدولي، وبيَّن أن أهدافه المعلنة ليست أهدافه السرية، وأنه ليس سوى مؤسسة تخدم مصلحة الطرف المهيمن عليها، وهي الولايات المتحدة الأمريكية تحديداً، والغرب الرأسمالي عموماً.

---

(١) عاطف حسن النقلي، سياسات صندوق النقد الدولي في الدول النامية، مجلة الدبلوماسي، معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية , ع١١٤، ١٩٨٩، ص١٠٢.

(٢) حمد بن سليمان البازعى، صندوق النقد الدولي ومديونية العالم الثالث، البيان، المنتدى الإسلامي، ع ٢٤، يناير، ١٩٩٠م، ص٥١.

(٣) طارق سامي حنا خوري، دور صندوق النقد الدولي في التأثير على القرارات السياسية والاقتصادية للدولة(١٩٨٩ـ ٢٠١٧م): الأردن حالة دراسية، رسالة مقدمة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٨م، ص١١٩.

كما أكد في كتابه على أن الهدف الرئيس من تأسيس الصندوق، لم يكن كما يزعم البعض استحداث نظام نقدي عالمي جديد وقوي، بل إن الهدف من تأسيسه هو تعزيز هيمنة القوة العظمى في العالم.

وأن الصندوق لا يسعى إلى حل مشكلات الدول المتأزمة، بل هو يسعى إلى تمكينها من استخدام قروضه، لتسديد ما في ذمتها من ديون أجنبية مستحقة، أي أنه يحل محل الدائنين الأجانب، ضامنا بذلك حصولهم على رؤوس أموالهم.

والدليل على ذلك أن الصندوق الذي يقدم المساعدات منذ أكثر من أربعين عاما، اتضح للعيان أنها مساعدات بلا أية زيادة في النمو أو الرخاء في الدول التي لجأت إليه، باعتباره الملاذ الأخير(١).

فضلاً عن أن وصفاته المفروضة على الدول الراغبة في الحصول على قروضه أسفرت عن خراب، وفقر مدقع، وبطالة مستمرة، وركود حاد، سواء في أفريقيا، أو أمريكا الجنوبية، أو في جنوب شرق آسيا، أو في يوغسلافيا، وأيسلندا، وإيرلندا، أو في اليونان.

إذن التبعات المترتبة على تلك البرامج كارثية على الناس العاديين في البلاد المتأثرة، والتي هي في الغالب من أصحاب الدخول المتدنية، وذلك نظراً لأن حكومات تلك البلاد تتبع نفس النمط بتمرير وطأة الآثار الناجمة عن التقشف إلى الضعفاء والفقراء من العاملين الذين يتقاضون الأجور المتدينة، وبهذه الطريقة فقد كلفت برامج صندوق النقد الدولي الملايين من الناس وظائفهم، ومنعتهم من الحصول على خدمات رعاية صحية مناسبة، أو أنظمة فاعلة للتعليم، أو السكن اللائق(٢).

يقول فولف: "من الناحية الرسمية تكمن وظيفة الصندوق الأساسية في العمل على استقرار النظام المالي، وفي مساعدة البلدان المتأزمة على تلافي ما تعانيه من مشاكل، غير أن تدخلاته تبدو في الواقع أشبه ما تكون بغزوات جيوش متحاربة، وكان في كل تدخلاته ينتهك سيادة هذه الدولة أو تلك، ويجبرها على تنفيذ إجراءات ترفضها الأغلبية العظمى للمواطنين، وتخلف وراءها مساحة عريضة من خراب اقتصادي واجتماعي، وفي كل هذه التدخلات لم يستخدم الصندوق أسلحة أو جنوداً، بل كان يستعين بوسيلة غاية في البساطة، وبواحدة من آليات النظام الرأسمالي، وهي: (**عملية التمويل**)(٣).

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٣.
(٢) مرتضى حسن، صندوق النقد الدولي: مقرض الملاذ الأخير، مجلة الخليج الاقتصادي، ٢/٢/٢٠١٥م.
(٣) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٢٠.

والصندوق بسياسته هذه يحارب الفقراء لا الفقر، يحاربهم بفعل خلفيته الأيدولوجية، القائمة على مبادئ الليبرالية الحديثة، بل يحمل هؤلاء الفقراء سلبيات التقشف المالي.

تحليل الفصول

توطئة:

إنه صندوق النقد الدولي أحد أهم المنظمات العالمية، والتي ما زال الجدل قائماً حولها منذ سنوات طويلة، بين من يصوره أنه شيطان العصر، وبين من يروج له أنه ملاك الرحمة المنقذ للفقراء، تضيع صورة صندوق النقد الدولي وتفاصيلها الموضوعية، ويغيب الفهم الحقيقي عن أذهان العامة من المتابعين من خارج الاختصاص الاقتصادي(١).

وفي كتاب: **صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية**؛ لأرنست فولف، الكثير من الحقائق التي سنرصد بعضها في السطور القادمة.

فقد احتوى الكتاب على اثنين وعشرين فصلاً، قدمت رصداً وتحليلاً لسياسات الصندوق منذ نشأته عقب الحرب العالمية الثانية، وصولاً إلى عام ٢٠١٣م.

الليبرالية الجديدة

هي حزمة من السياسات الاقتصادية التي انتشرت على نطاق واسع في العقود الأخيرة، وتشير الليبرالية إلى أفكار سياسية واقتصادية ودينية، وتعني كلمة (الجديدة) أنها بصدد نوع جديد من الليبرالية، والتي سادت في الأساس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حتى ظهر الكساد العظيم في الثلاثينيات من القرن العشرين. وتقوم مؤسسات مالية قوية مثل صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي بفرض الليبرالية الجديدة في جميع أنحاء العالم، وتجتاح الليبرالية الجديدة أمريكا اللاتينية والشرق الأوسط، وتدمر الليبرالية الجديدة برامج الرفاهية الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ وتهاجم حقوق العمال، والمستفيدون من الليبرالية الجديدة هم قلة محدودة من سكان العالم، أما بالنسبة للأغلبية الساحقة من السكان، فلن تجلب لهم سوى المزيد من المُعاناة: مُعاناة دون مكتسبات تحققت في الستين عاماً الماضية؛ معاناة بلا حدود.

وتتضمن الملامح الرئيسة لليبرالية الجديدة ما يأتي:

١. هيمنة السوق، ورفع كافة القيود التي تفرضها الحكومات على المشروعات الخاصة، ومزيد من الانفتاح على التجارة والاستثمار الدولي، وتخفيض الأجور، وحل النقابات العمالية وتهميش حقوق العمال، وعدم التدخل لضبط الأسعار، وإتاحة الحرية الكاملة لحركة رؤوس الأموال والبضائع والخدمات.
٢. تقليص الإنفاق على الخدمات الاجتماعية: مثل التعليم والرعاية الصحية، وتخفيض الإنفاق على الضمان الاجتماعي.
٣. التحرير الاقتصادي، وتقليص التدخل الحكومي في أي شيء قد يخفض الربح.
٤. الخصخصة، وهي بيع المشروعات والبضائع والخدمات التي تمتلكها الدولة إلى رجال الأعمال.
٥. القضاء على مفهوم (الصالح العام) أو (المجتمع)، واستبداله بمصطلح (المسؤولية الفردية)، والضغط على الشرائح الأفقر في المجتمع من أجل البحث عن حلول لمشاكلهم الخاصة بنقص الرعاية الصحية والتعليم والضمان الاجتماعي بأنفسهم، وإذا فشلوا في إيجاد الحلول، يتم توجيه اللوم إليهم باعتبارهم كسالى. انظر: إليزابيث مارتينيز وأرنولدو جارسيا، ما هي الليبرالية الجديدة..
تعريف مختصر، ترجمة: نصر عبد الرحمن، قراءات، ٢١ أكتوبر، ٢٠١٤م.

(١) أماني أبو زيد، شيطان العصر أم ملاك الرحمة: دليلك لفهم صندوق النقد الدولي، إضاءات، ١/٥/٢٠١٨م.

جاء **الفصل الأول** بعنوان: مؤتمر بريتون وودز: بداية الابتزاز)، ليوضح إرهاصات نشأة صندوق النقد الدولي، وتداعياته، والمفاوضات السرية قبل إنشائه، التي استغرقت سنوات عديدة بين البيت الأبيض، والحكومة البريطانية.

ففي نهاية الحرب العالمية الثانية دعت الولايات المتحدة لمؤتمر بريتون وودز عام ١٩٤٤م، وشارك فيه (٤٤) دولة حينها، وكان الهدف المعلن للمؤتمر هو صياغة نظام اقتصادي جديد، يضفي الاستقرار على الاقتصاد العالمي، ويحول دون تكرار الأخطاء التي تخللت عقود الزمن بين الحربين العالميتين.

> **مؤتمر بريتون وودز**
> هو المؤتمر الذي استضافته الولايات المتحدة الأمريكية في المدينة السياحية الشتوية بريتون وودز، الواقعة في ولاية نيوهامبشر، وذلك في الرابع عشر من يوليو من عام ١٩٤٤م، وكان فيه وفود من ٤٤ بلد، وكان الهدف المعلن من المؤتمر هو صياغة أسس نظام اقتصادي جديد للعصر الآتي لنهاية الحرب العالمية الثانية، والاتفاق على نظام جديد يضفي الاستقرار على الاقتصاد العالمي، ويحول دون تكرار الأخطاء، التي تخللت عقود الزمن بين الحربين العالميتين، وقد توصّل المشاركون في هذا المؤتمر إلى ضرورة إنشاء البنك الدوليّ للإنشاء والتعمير، وصندوق النّقد الدوليّ الذي تأسّس في السابع والعشرين من كانون الأوّل/ديسمبر من عام ١٩٤٥م، وذلك بموجب الاتّفاقية، كما تمّت الموافقة على تطبيق نظام أسعار الصرف الثابتة مع عُملة الدولار الأمريكيّ باعتبارها العُملة الرئيسة.

وقد نصت اتفاقية تأسيس الصندوق على مجموعة من الأهداف الرئيسة، هي[١]:

- تشجيع التعاون في ميدان السياسة النقدية.
- تيسير التوسع والنمو في التجارة الخارجية.
- العمل على تحقيق الاستقرار في أسعار الصرف، والمساعدة على إقامة نظام مدفوعات متعدد الأطراف.
- تدعيم الثقة بين البلدان الأعضاء، وإتاحة الفرصة لها؛ لأن تستخدم موارده العامة مؤقتاً بضمانات كافية، كي تتمكن من تصحيح الاختلالات في موازين مدفوعاتها، دون اللجوء إلى إجراءات مضرة بالرخاء الوطني أو الدولي.
- العمل على تصحيح الاختلالات في موازين المدفوعات الدولية، الخاصة بالدول الأعضاء بأسرع وقت ممكن، ودون اللجوء إلى إجراءات مضرة بالرخاء الوطني أو الدولي.

ولكن بالتدقيق في الأهداف المذكورة في أسباب تأسيس الصندوق، لا يمكن التغافل عن حقيقة أن هذه المبادئ أو الأهداف فضفاضة، وقابلة لاستيعاب أية سياسة اقتصادية قد تتبناها إدارة الصندوق[٢].

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٢٩.
(٢) أماني أبو زيد، شيطان العصر أم ملاك الرحمة: دليلك لفهم صندوق النقد الدولي، إضاءات، ١/٥/٢٠١٨م.

ويؤصل **الفصل الثاني** لبداية نصب حبائل صندوق النقد الدولي على البلاد والعباد، فقد ألزم استراتيجيو الصندوق الدول المستقلة بإصدار(خطاب نوايا) تعرب فيه هذه الدول عن التزامها بتحقيق أهداف معينة، تتصل بسلامة مركزها الخارجي، واستقرارها المالي والنقدي، وسعيها إلى التحكم في المشاكل المخيمة على ميزان مدفوعاتها، وبهذا النحو أعطى الصندوق المراقبين الخارجيين الانطباع بأن البلد المتعثر هو الطرف الذي اقترح على الصندوق الإجراءات الواردة في خطاب النوايا، مموها عليهم أنه هو نفسه كان الطرف الذي طالب بتحقيق هذه الإجراءات في واقع الحال(١).

ويوضح فولف أن هذه الصيغة الرسمية يبدو معها وكأن صندوق النقد الدولي مؤسسة حيادية، وهدفها دعم الاقتصاد العالمي، وتحقيق الرفاهية لكافة الشعوب، في حين أن الواقع يشير إلى أن صندوق النقد ليس إلا مؤسسة أنشأتها الولايات المتحدة، وهي الطرف المسيطر عليها، لتفرض هيمنتها العسكرية والاقتصادية(٢).

ويصور **الفصل الثالث** بداية تجزر صندوق النقد الدولي، ووضع سياساته قيد التنفيذ، لا سيما عندما تقمص هو دور الملاذ الأخير؛ لتزويد البلاد بالسيولة اللازمة.

ونظراً لوضع صندوق النقد الدولي في النظام المالي العالمي بوصفه (مقرض الملاذ الأخير)، تجد الحكومات عادة نفسها بلا خيار سوى قبول عروض الصندوق، والخضوع لشروطه، وبناء عليه فإنها تقع في مصيدة شبكة الديون، والتي تعمل على تورط الحكومات في الفائدة المركبة، المضافة إلى أصل الديون.

ثم يرصد الكتاب تطور سياسات صندوق النقد في فترة سبعينيات القرن الماضي، وتبنيه لقواعد النيوليبرالية التي صاغتها مدرسة شيكاغو الاقتصادية، وقد أقر الصندوق برنامج :(التكييف الهيكلي)(٣)تحت شعار : [ليبرالية، تحرر، استقرار، خصخصة].

وبناءً على هذا البرنامج وضع صندوق النقد الدولي ثلاثة شروط؛ للموافقة على إقراض الدول وهي :

- المساعدة المالية.
- المساعدة الفنية.
- المراقبة.

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٣٤.
(٢) إسلام أنور، قراءة في كتاب: صندوق النقد الدولي قوة عظمى، نافذة الوعي، الأربعاء، ٢١ سبتمبر, ٢٠١٦م.
(٣) يقصد بالإصلاحات الهيكلية أو التعديل الهيكلي، مجموعة من السياسات والإجراءات الهادفة إلى رفع الطاقة الإنتاجية ودرجة مرونة الاقتصاد.

وقد مكنت هذه الشروط إدارة الصندوق عبر العصور من التدخل المباشر في سياسات الدول الاقتصادية والاجتماعية، فالصندوق لم يعد يقرض الدول فقط، بل صار يحدد أين ستنفق هذه الأموال، بل صار يختار أيضًا الوزراء والحكومات والقيادات البنكية أيضا، التي يرى أنها ستحقق مصالحه في تلك البلاد.

والمحصلة لما قد سبق عرضة أن تطبيق سياسات التكييف الهيكلي(١)في العديد من الدول، تسببت في غلق مئات المصانع، بل وبيعها، وتسريح الآلاف العمال، وتضاعفت نسبة الفقراء، وارتفعت معدلات التضخم بصورة غير مسبوقة، وتم إفقار ملايين البشر، وعلى الجانب الآخر حصل المستثمرون الأجانب ـ ومعهم القيادات العسكرية الذين تحولوا لسماسرة وتجار ـ على مليارات الدولارات التي تم نقلها للخارج(٢).

وفي **الفصل الرابع** يحكي المؤلف كيف أن الصندوق بدأ في إضفاء المنهجية على إجراءاته، فمن خلال التجربتين التشيلية والبريطانية أدركت قيادات صندوق النقد الدولي أنه قد آن الأوان لأن يجهز الصندوق نفسه منهجيًا لأداء الدور الذي خطط له مسبقا، الآتي فقد حفز مجموعة الدول النامية على تنفيذ إصلاحات تهتدي بالليبرالية الحديثة، وتتماهى مع تطورات الرأسمالية المالية الأمريكية.

وكان أهم ما جاء في لوائح الصندوق الجديدة هو: مراقبة الإجراءات المتعقلة بالتطورات الاقتصادية الكلية، وإجراءات تتعلق بخفض الكمية النقدية المتداولة، ومكافحة التضخم، وضبط الميزانية الحكومية، ومسائل مديونية الدولة.

الآتي فقد أخذ لنفسه حق مراقبة الوفاء بمتطلبات الإدارة الرشيدة (الحوكمة)، وبمدى تنفيذ الاصلاحات في القطاعين: القضائي المالي والاداري، وفي سبيله لتحقيق ذلك اشترط ما يأتي(٣).

- الوصول إلى حالة التوازن في ميزانية الدولة، وذلك من خلال انتهاج التقشف المالي، وإلغاء الإنفاق المخصص لمناح معينة.
- خفض قيمة العملة الوطنية، وذلك من أجل تعزيز القدرة التنافسية في الأسواق العالمية.
- رفع معدلات الفوائد، بغية الحد من حجم الائتمان الداخلي.

---

(١) مع مطلع الثمانينيات ساد اتجاه عام في كل من الدول المتقدمة والنامية يتركز حول تفعيل دور قوى السوق، وتقليل التشوهات التي تحدث فيه؛ نتيجة تدخل الدولة، وذلك استجابة لنصائح ووصايا البنك وصندوق النقد الدوليين، هذا التوجه عرف تحت ما يسمى بسياسات التكيف الهيكلي، وسياسات التثبيت والاستقرار، أو ما اصطلح على تسميته في كثير من الدول ومنها مصر: بسياسات الاصلاح الاقتصادي. راجع: خليل محمد خليل عطية، الآثار الاجتماعية لسياسات الإصلاح الاقتصادي الحالة المصرية، المجلة العلمية، كلية التجارة، جامعة أسيوط، مصر،مج١٨، ع٢٦، يونيو، ١٩٩٩م، ص١٥٢.

(٢) إسلام أنور، قراءة في كتاب: صندوق النقد الدولي قوة عظمى، نافذة الوعي، الأربعاء، ٢١ سبتمبر, ٢٠١٦م.

(٣) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٤٧.

- إلغاء القيود على الواردات السلعية، وتداول العملات الأجنبية.
- تعزيز تخصص الاقتصاد الوطني بإنتاج بعض السلع القابلة للتصدير.
- إلغاء القيود المفروضة على الاستثمارات الأجنبية.
- خصخصة المشاريع الحكومية وأملاك الدولة.
- تشريع لوائح قانونية تتضمن حقوق المشاريع الخاصة.

والحقيقة ـ كما يصفها أرنست فولف ـ أن كل واحدة من هذه الإجراءات كانت بالنسبة إلى الجماهير العامة والفقراء، من أبناء البلدان المعنية وبالاً وسوطاً يُجلدون به يوماً بعد آخر.

فأجور العاملين لدى الدولة جمدت، أو خفضت، كما جرى تسريح الكثيرين منهم، كما تقلص الإنفاق على قطاعي: التعليم، والصحة، بنحو مخصوص، كما ألغي الدعم الموجه للطاقة والكهرباء، والبنزين، والمشتقات البترولية، مما يؤدي إلى زيادة الأعباء على الطبقات الفقيرة، ومحدودة الدخل، ورفع الضرائب؛ حيث إن من شروط الصندوق تطبيق ضريبة القيمة المضافة(١).

وعملية إلغاء الدعم في غاية الصعوبة؛ نظراً لأنه يمس ـ مباشرة ـ قدرة الكثير من الأفراد على العيش، فأغلب الدول النامية التي تتبع أسلوب الدعم لا تتبعه إلا لمعرفتها التامة بأن أغلبية الأفراد لن يتمكنوا من التعامل مباشرة مع ارتفاع الأسعار، والتضخم المستورد، نتيجة الارتفاع العالمي للأسعار لأغلب السلع الأساسية لا سيما المواد الغذائية(٢).

ومن ناحية أخرى فقد حظيت زيادة معدلات الفائدة، بغية خفض معدلات التضخم بترحيب واسع وحار، وانتهت كل هذه الآثار ـ في نهاية الأمر ـ إلى تعميق تبعية البلد المعني بالتطورات المالية الدولية، وبزيادة طاعة حكومته لرغبات المقرضين الأجانب وشروطهم(٣).

فتدخل الصندوق يعني تقويض سيادة الدول، عن طريق إجبارها على تطبيق إجراءات وتدابير ترفضها الأغلبية العظمى من سكانها، وعليه فإنها تخلف وراءها ذيولاً ممتدة من الدمار الاقتصادي والاجتماعي(٤).

---

(١) حسام عبدالعال شعبان، الآثار المحتملة للاقتراض من صندوق النقد الدولي، مجلة كلية الحقوق للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة الإسكندرية، كلية الحقوق، ع١، ٢٠١٧م، ص١٠٣٤.
(٢) عاطف حسن النقلي، سياسات صندوق النقد الدولي في الدول النامية، مجلة الدبلوماسي، معهد الأمير سعود الفيصل للدراسات الدبلوماسية، وزارة الخارجية , ع١١، ١٩٨٩، ص١٠٢.
(٣) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٤٩.
(٤) مرتضى حسن، صندوق النقد الدولي: مقرض الملاذ الأخير، مجلة الخليج الاقتصادي، ٢/٢/٢٠١٥م.

وإذا أمعنا النظر جيداً وجدنا أن جميع هذه الإجراءات تشترك جميعها في الخصائص الثلاث الآتية:

- أنها جميعاً حملت الجماهير العامة أضراراً فادحة.
- أنها انطوت على منافع جمة بالنسبة للمستثمرين الدوليين.
- أنها ساهمت مساهمة قوية في تعزيز تبعية البلد المعني إلى أسواق المال العالمية.

ويجيب فولف بين ثنايا كتابه المهم عن السبب الذي دفع بلدان عظيمة لأن تمد يدها طالبة المساعدة من صندوق النقد الدولي، والرغبة في الانضواء تحت رايته كدول أعضاء؟

يقول فولف: "تتلخص الإجابة عن هذا السؤال في أن المصارف التجارية ترى أن الدول الجديرة بالحصول على التمويل هي تلك الدول فقط التي خضعت لشروط صندوق النقد الدولي، والتزمت بتنفيذ برامج التكيف الهيكلي، وهكذا فإن كان هذا البلد أو ذاك لا يريد لنفسه التعرض إلى عزلة شاملة، وإذا عزم على مواصلة المشاركة بالمستجدات الاقتصادية والمالية الدولية، عندئذٍ لن يكون لديه خيار آخر غير الانضمام إلى صفوف الصندوق، والموافقة على شروطه، وبهذا النحو غدا ثلاثة أرباع بلدان أمريكا اللاتينية، وثلثا البلدان الإفريقية، أعضاء في صندوق النقد الدولي(١).

وفي **الفصل الخامس** يستمر فولف في كشف الوجه الحقيقي لصندوق النقد الدولي، من خلال أزمة الديون في أمريكا اللاتينية، وكيف أن الصندوق تحول إلى لاعب دولي ورئيس في إدارة الأزمات المتلاحقة.

فخلافا لكل التأكيدات المعلنة لم يكن هدف الصندوق ـ في المقام الأول ـ مساعدة الاقتصاد المكسيكي، أو البرازيلي، أو غيرهما على تخطي الأزمة، والتعافي من ويلاتها، بل كان يرتكز على تمكين الصندوق نفسه ـ وبغير مبالاة، وبلا رحمة ـ من جني الثمار الناشئة على خلفية الأزمة الاقتصادية والمالية، المخيمة على البلدين، فقد كان هدفه الوحيد يكمن في إعادة قابلية البلدين لتسديد ما في ذمتهما من قروض، والاستفادة من الأزمة؛ لتحسين شروط الاستثمار، وفرض جني الأرباح أمام المشاريع والمصارف الأجنبية العملاقة(٢).

وفي كل الحالات، تدخل الصندوق كأنه فرقة مطافئ، تمارس عملها على مستوى العالم أجمع، وأخذ يكره بلداً بعد آخر على الانصياع لبرنامج التكيف الهيكلي، المعد من قبله، فساهم ـ بطريقة مباشرة وغير مباشرة ـ في إشاعة الاضطرابات في اقتصاديات هذه البلدان، من خلال الإجراءات التي نفذها بكل وعي وإرادة(٣).

---

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٥٠.
(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٥٤.
(٣) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٦٠.

وفي **الفصل السادس** يوضح فولف ما كان يحتاجه الصندوق من مؤازرات حكومات فاشية وقمعية؛ لأن سياسات هذا الصندوق كانت تدفع الجماهير إلى تصعيد مقاومتها ضد الإجراءات الحكومية، الرامية إلى تحقيق تقشف مالي صارم.

ففي أفريقيا وباقي أنحاء العالم كان بركان الثورة يتصاعد من يوم لآخر، ففي يناير من عام ١٩٧٧م اندلعت الاحتجاجات في كبرى المدن المصرية بسبب سياسات صندوق النقد الدولي الذي طلب من الحكومة المصرية يومئذٍ ضرورة إلغاء الأموال التي تخصصها كل عام لدعم أسعار المواد الغذائية الأساسية.

وفي المغرب أعلنت النقابات العمالية في عام ١٩٨١م إضرابا عاما، وذلك لأن الصندوق كان قد ربط منح قروض ضخمة عند التزام الحكومة المغربية بإلغاء الإنفاق الحكومي المخصص لدعم أسعار المواد الغذائية الأساسية.

وحاصل ما سبق أنه حدثت احتجاجات عدة على سياسات التقشف التي نفذتها حكومات هذه الدول، استجابة لشروط الصندوق، وأن عشرات الآلاف من المواطنين قد لقوا حتفهم في عمليات الاحتجاجات هذه، وعلى الرغم من قائمة الاضطرابات الدامية، لم يخطر على بال صندوق النقد الدولي ضرورة إعادة النظر في استراتيجيته المدمرة، فضلا عن أن يخطر على باله ضرورة تبني استراتيجية جديدة.

وفي **الفصل السابع** يوضح فولف كيف تم علاج الاتحاد السوفيتي بالصدمة، لا فتا فولف النظر إلى أن الوعود البراقة التي قطعت لمواطني الاتحاد السوفيتي، والتي تبدو من منظور العصر الحاضر كأنها دعابة.

فبعد انقضاء مرحلة قصيرة، يسودها ضروب التقشف، آلت نتائج سياسات صندوق النقد الدولي إلى بؤس العاملين بأجر من ناحية، وارتقاء فئة من أغنياء حديثي الثراء، ساندها الرأسمال الدولي أيما مساندة من ناحية أخرى، كما نشأ تفاوت اجتماعي غاية في التطرف، هذا التفاوت الاجتماعي بلغت فجوته مقادير لم تعرفها البلاد ولا حتى في أتعس عصورها[١].

وفي **الفصل الثامن** يبين المؤلف حيل الإدارة الأمريكية؛ للحفاظ على مصالحها، وعلى استمرار تبعية جنوب أفريقيا لها، فسعت لذلك الأمر، ولكن بحجة تأييد المساواة بين الأجناس المختلفة.

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٧٣.

وكانت السياسة المبتغاة من قبل صندوق النقد الدولي والمنفذة من قبل الحزب الوطني الأفريقي حولت جنوب إفريقيا إلى بلاد اتسعت فيها هوة التفاوت بين أولئك الذين يرفلون بالنعيم، وأولئك الذين يعيشون على هامش الحد الأدنى للمعيشة إلى حد يكاد لا يكون له مثيل في العالم(١).

أما في **الفصل التاسع** فقد استطرد المؤلف أرنست فولف بقية الدول التي أنهكها صندوق النقد الدولي بسياساته القاتلة، المعلنة وغير المعلنة، ومن هذه الدول يوغسلافيا، فلقد كتب صندوق النقد الدولي فصلاً من الفصول المثيرة للشجون والآلام في تاريخ أوروبا، وفي تاريخ جمهورية يوغسلافيا الاشتراكية(سابقا).

فبين ثمانينيات وتسعينيات القرن المنصرم، لم يشارك الصندوق بنحو فعال فقط في دفع شعب تعداده ٢٤ مليون نسمة إلى التهلكة، وحياة البؤس والحرمان، بل قدم أيضا مساعدات فعالة؛ لتفكيك دول متعددة الأعراق والأجناس، ولإشعال فتيل صراعات دموية على الأرض الأوروبية، بعد ويلات الحرب العالمية الثانية.

وأما **الفصل العاشر** فقد صور لنا فيه أرنست فولف خيوط الأزمة الأسيوية، والتي برهن الصندوق فيها على جبروته، فالاقتصادات الأسيوية سجلت في ستينيات القرن العشرين أعلى معدلات نمو اقتصادي على مستوى العالم أجمع، عندها تدخل صندوق النقد الدولي ووزارة الخزانة الأمريكية والمؤسسات الديكتاتورية ومارسوا ضغوطا قوية في تسعينيات القرن العشرين على دول الإقليم؛ لدفعها إلى تسهيل حركة رأس المال الأجنبي في أسواقها دون عوائق.

وكانت هذه الضغوط قد دفعت حكومات دول المنطقة إلى تنفيذ عملية تحرير نشأ عنها بلوغ الحجم الكلي لقروض المصارف الأجنبية في إندونيسيا، وكوريا الجنوبية، وماليزيا، والفلبين لأكثر من ٢٦٠ مليار دولار أمريكي حتى نهاية عام ١٩٩٦م(٢).

واشتملت هذه القروض على قروض قصيرة الأجل، كانت نسبتها تتراوح بين ٥٠٪ و٦٧٪، علما بأن هذه القروض لم تستثمر في الاقتصاد الحقيقي، بل جرى استثمارها كنقود أو أموال ساخنة في شراء أسهم الشركات والعقارات المختلفة.

كما أن صندوق النقد الدولي لم ير أن التحذير من المخاطر القائمة جزء من مسئوليته، وبالآتي فإنه ظل هو نفسه يساند التطور الحاصل، حتى بعدما لاحت في الأفق نذر الكارثة المحققة.

---

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٨٥.
(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٠١.

وفي **الفصل الحادي عشر** يبين فيه أرنست فولف منهج صندوق النقد الدولي الغريب في مكافحة الفقر، ومدى إقراره سقوف للأجور، والسماح بارتفاع الأسعار.

فلقد تفاقمت الأوضاع في الدول الفقيرة، وذلك لأن هيكل الديون قد تغير بشكل ملحوظ، هذا في الوقت الذي كانت تضلل فيه وسائل الإعلام الدولية الرأي العام، وتنشر مزاعم كاذبة بأن النواحي الإنسانية هي التي حتمت اعتماد توجيهات جديدة من قِبل الصندوق، تراعي مصالح البلدان الفقيرة وسكانها.

وليعلم الجميع أن منح القروض عالية المخاطر ما كان يهدف منها ـ بأي حال من الأحوال ـ مساعدة هذه البلدان في جهودها الرامية إلى تطوير الاقتصاد والهياكل التحتية، ولا إلى الحد من الفقر والمجاعات، بل كان الهدف ـ بادئ ذي بدء ـ استدراجها للوقوع في فخ المديونية، وذلك لتمكين الرأسمالية المالية الدولية لأن تحصل منها على تنازلات ما كانت ستقدم عليها أبدا في ظل ظروف عادية(١).

ويتمثل جانب آخر للتدمير الممنهج الذي مارسه الصندوق في غضه الطرف متعمداً عن كيفية توظيف أموال القروض التي كان يقدّمها للدول الفقيرة من قبل بعض الحكام المستبدين، والتي لم يذهب الكثير منها للصرف على المشروعات التي قدمت من أجلها القروض، بل لبنود أخرى مثل: شراء الأسلحة، وملء جيوب المفسدين(٢).

وفي **الفصل الثاني عشر** يناقش أرنست فولف الأزمة الأرجنتينية، وكيف أن الأرجنتين التي كانت حتى ثلاثينيات القرن العشرين واحدة من أغنى بلدان العالم أن تشهد خلال خمسينيات وستينيات القرن المنصرم حقبا سادها ركود اقتصادي، واضطرابات رهيبة لما دأبت كغيرها من الكثير من البلاد أن تدور في فلك صندوق النقد الدولي.

بل الأدهى من ذلك أن الأرجنتين تمادت في الانصياع لكل ما يأمر به الصندوق، مما دعاه أن يصفها أمام العالم أجمع بـ(التلميذ النموذجي)، والنتيجة الحتمية معروفة، فقد فَقد آلاف العمال عملهم، وانخفض مستوى المعيشة، وبلغ معدل البطالة مبلغا عظيما.

وها هو **الفصل الثالث عشر** يوضح العولمة والرأسمالية، كقوتي دفع مستخدمة من قبل الصندوق، فضلا عن أن كل الظروف التي طرأت على الصندوق منذ تأسيسه عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية هي تغيرات جوهرية ساهم

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٢٤.
(٢) مرتضى حسن، صندوق النقد الدولي: مقرض الملاذ الأخير، مجلة الخليج الاقتصادي، ٢/٢/٢٠١٥م.

في اندلاع هذه التغيرات انهيار نظام بريتون وودز، وتعاظم أبعاد العولمة، وما أفرزه هذا التعاظم من تدهور في دور حركات النقابات العمالية الدولية، وإعادة النظام الرأسمالي إلى الاتحاد السوفيتي، وإلى الدول الدائرة في فلكه، وتزايد أهمية القطاع المالي على نحو متواصل ومتصاعد، منذ منتصف سبعينيات القرن العشرين(١).

كما أن العولمة المالية ـ والتي تعني تشابك ربوع العالم اقتصاديا وماليا بشكل متين ومتصاعد ـ ساهمت أيضا من جانبها في تعزيز هذه المكانة الخاصة للصندوق، وتوسيع رقعتها.

وفي **الفصل الرابع عشر** ينتقل أرنست فولف إلى الأزمة المالية العالمية، وعلاقتها بصندوق النقد الدولي، ويستند إلى العولمة المالية التي تجلت في ظل ظروف اقتصادية صعبة، فقد انتقلت عدوى الأزمة المالية العالمية خلال زمن قصير جدا من مركزها، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، إلى بلدان أخرى كثيرة.

وقد أدت إلى حدوث اختلالات اقتصادية كبيرة، ليس فقط في الاقتصاد الأمريكي، وإنما في الاقتصاد العالمي ككل، ومن بين هذه الاختلالات: انتشار البطالة، وإفلاس المؤسسات الكبرى والبنوك، وحدوث ركود وانكماش في الاقتصاد العالمي.

أما في **الفصل الخامس عشر** فيعرض أرنست انهيار الجهاز المصرفي في أيسلندا عام ٢٠٠٨م، وكيف أنها حتى مطلع القرن الحالي كانت من البلاد الهادئة، وواحدة من أقل الدول الأوروبية جلبا للانتباه، إلى أن حدث انهيار الجهاز المصرفي، مما أغضب الرأي العام الأيسلندي عام ٢٠٠٨م، عندما تدخل صندوق النقد الدولي وغيَّر الوضع جذريا في نمط العيش في بلد كان من أغنى بلدان العالم.

واللافت للنظر أنه في الوقت الذي دأبت الحكومة على صب اللعنات على الصندوق أمام الرأي العام كان قد كرس أعضاؤها جهودهم؛ لتعزيز الانطباع بأن الحكومة تسعى بكل ما أوتيت من قوة إلى الحيلولة دون تدخل الصندوق في شؤون البلاد، كما كانت الحكومة تنسق خطواتها مع الصندوق من خلف الكواليس، وتنفذ خطته بكل حذافيرها(٢).

وشأن الفصل السابق يصور فولف في **الفصل السادس عشر** حال أيرلندا مع صندوق النقد الدولي، وكيف تسبب في تصاعد الفقر فيها وفي غيرها من بعض دول أوروبا على نحو أشبه بالانفجار.

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٤١.
(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٦٤.

فقد كانت أيرلندا تعيش في رغد من العيش، غير أنها تعرضت لمجموعة من التخبطات والأزمات المالية التي جعلتها تتخذ ـ طوعا وكرها ـ مجموعة من السياسات التقشفية والإجرائية التي تخص جميع من يعيش على أرضها، حتى جاء دور صندوق النقد الدولي ليمارس ـ من وجهة نظره ـ حزمة من الإجراءات وسياسات الإنقاذ والإصلاحات المالية.

وظل صندوق النقد الدولي على هذا الحال يمارس التدخلات القوية في كل القرارات الحكومية، وما برح يحتفظ لنفسه بمكتب في أيرلندا(١).

وفي **الفصل السابع عشر** يناقش أرنست فولف أزمة اليورو، وسياسات صندوق النقد الدولي، ففي منطقة اليورو في الطرف الجنوبي من أوروبا اندلعت أزمة الرهون العقارية، المرتفعة المخاطر في الولايات المتحدة الأمريكية، حتى التهمت الكثير من مليارات اليورو، وتمخضت عن عجوزات ضخمة في الميزانيات الحكومية.

وعلى هذا التطور الخطير تحرك الصندوق بسرعة نحو تنفيذ إجراءات غاية في الصرامة، والتي تتمثل في الإجراءات التقشفية، كالتي تم تنفيذها في أيرلندا، ويعيد إلى الأذهان عنف وقسوة التقشف الذي ساد برنامج(العلاج بالصدمة) الذي نفذه الصندوق في الاتحاد السوفيتي، وفي دول الكتلة الشرقية(سابقاً)، وقد قرر الإجراءات الآتية(٢):

- **تطبيق سياسة الخصخصة**، من غير خفض قيمة العملة، مما تعين معه بيع الثروات والمشاريع الحكومية بالمزاد العلني، وبأعلى سعر ممكن.
- **تصعيد ما لدى الاقتصاديات المعنية من قوة تنافسية**، مما تعين معه خفض تكاليف الإنتاج، وذلك من خلال اخضاع سوق العمل لتغييرات جذرية، عنيفة في شدتها وفاعليتها، فبالنسبة للعاملين الذين لم يفقدوا فرص عملهم، كان عليهم انجاز المهمات المطلوبة، وتقليص فترات الاستراحة، وشطب المخصصات المدفوعة في أيام العطلات، وخفض معايير السلامة المتعارف عليها في مواقع العمل، وعدم دفع أجر عن ساعات العمل الإضافية.

(١) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٧٨.
(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٨١.

- **تخفيض حصة الإنفاق العام الحكومي وشبه الحكومي من الناتج القومي الإجمالي في الدول المعنية، مما** تعين معه تسريح جماهير واسعة من العاملين لدى الدولة، والحد من خلق فرص عمل جديدة في القطاع الحكومي، وتخفيض أجور العاملين ورواتبهم.

وقد ترتب على كل ما سبق خفض المستوى المعيشي للجماهير العاملة بمقدار لم تشهده القارة الأوربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، مما ترتب على هذه الإجراءات إحداث تدهور كبير في الوضع الاقتصادي في الدول المعنية.

وفي **الفصل الثامن عشر** ينتقل أرنست لضحية جديدة من ضحايا صندوق النقد الدولي، وهي اليونان، وكيف أن المجاعات أعيدت إلى أوروبا من جديد في هذه الضحية.

ويروي تفاصيل قصة تدخل صندوق النقد الدولي في اليونان، عقب إعلان رئيس الوزراء اليوناني في أعقاب شهر أكتوبر عام ٢٠٠٩م، وصول عجز ميزانية بلاده إلى أكثر من ضعف العجز.

عندها تدخل صندوق النقد الدولي، ومعه الاتحاد الأوروبي، والمصرف المركزي الأوروبي؛ لفرض وصايته على ميزانية الحكومة اليونانية، ملزما إياها بضرورة تنفيذ أشد برامج التقشف التي عرفته اليونان منذ النظام الديكتاتوري الذي حكم البلاد عام ١٩٧٤م.

وقد أعلن صندوق النقد الدولي منذ ثلاث سنوات مضت أن اليونان عجزت عن سداد دينها للصندوق، ولم تتمكن من دفع مليار ونصف مليار يورو كانت مستحقة عليها في ذلك الوقت، لتصبح اليونان أول دولة متطورة، تتراكم عليها مبالغ متأخرة، ولم تعد قادرة على الاستفادة من الموارد المالية لهذه المؤسسة الدولية(١).

ثم أصبح اليونان حقل تجارب لصندوق النقد الدولي بعد ذلك، فقد جرى الاتفاق على قرار بعيد المدى، عظيم النتائج، يجعل من اليونان مختبرا حقيقيا، تجرب فيه هذه الأطراف ـ أعني صندوق النقد الدولي، والاتحاد الأوروبي، والمصرف المركزي الأوروبي ـ تصوراتها، وإجراءاتها(٢).

واستكمل أرنست فولف في **الفصل التاسع عشر** قضية قبرص مع صندوق النقد الدولي؛ الذي زعم أنه جاءها لحماية دافعي الضرائب من جراء خسائر المصارف؛ حيث صاغ خبراؤه القانونيون خطة متكاملة تفضي إلى سلب أموال المودعين، وصغار المساهمين، وحملة سندات الدين الحكومية.

(١) حسام عبد العال شعبان، الآثار المحتملة للاقتراض من صندوق النقد الدولي، ص١٠٣٢.
(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص١٩٠.

ونسي الصندوق أو تناسى بأن جميع نصائحه إلى الشعوب والدول قد أتت بصورة عكسية، ولم يتم إصلاح اقتصاد أي دولة أخذت بروشته، فغالبا ما تكون نصائح الصندوق ما هي إلا نصائح نظرية، لا تراعي أرض الواقع، ولا تعتمد على المعلومات الكافية للدولة التي يقوم الصندوق بإعطائها النصائح الاقتصادية، كما أن الصندوق عادة لا يدرك المتاعب السياسية التي يعانيها معظم شعوب الدول النامية(١).

كما ناقش **الفصل العشرون** أزمة اليورو عقب اندلاع الأزمة في قبرص، ومطالبة صندوق النقد الدولي، باستحداث أطر مؤسساتية لعمليات الذهب، ومناقشة اقتراح صندوق النقد الدولي بشأن فرض ضريبة على الثروات، ربما لتخفيض حجم المديونية إلى المستوى الذي كان قبل اندلاع الأزمة، وإعادة عقارب الساعة إلى ستة أعوام إلى الوراء.

وقد عرض **الفصل الحادي والعشرين** لقضية مهمة وهي اشتعال شرارة التمرد على صندوق النقد الدولي بسبب تراكم الديون، وتزايد التفاوت الاجتماعي، واختمار الثورة، لا سيما بعد عام ٢٠١١م، عندما بات العالم يسترد قوته، ويتماثل للشفاء اقتصاديا وماليا من الانهيار الذي عصف به في عام ٢٠٠٧م.

كل هذه الإشكالات على أمر الصندوق، فضلا عن السيل الجارف من الأنباء وقتها والتي كانت تشير إلى أن النظام المالي الدولي بات قاب قوسين من الانهيار، وأنه آيل للسقوط، خلال بضعة أيام، أو أسابيع قادمة(٢).

وينتقل فولف في **الفصل الثاني والعشرين** إلى ألمانيا، وعلاقتها بصندوق النقد الدولي، وكيف أن الصندوق كان بمثابة نذير شؤم يلوح في الأفق حول هذه الدولة.

فلقد تكاتفت المؤسسات المالية، ومن بينها صندوق النقد الدولي، على إكراه ألمانيا ـ بوصفها أكبر قوة اقتصادية ومالية أوروبية ـ أن تسهم بأكبر قسط مالي لتمويل صندوق تسهيل الاستقرار المالي الأوروبي(EFSF)؛ لتمويل آلية الاستقرار الأوروبي.

بالإضافة إلى حثه المتكرر لها على اللجوء إلى صندوق النقد الدولي، الذي أصبح بمثابة الجهات التي تنقل الأعباء الناجمة عن الأزمات على كاهل الجماهير العاملة(٣).

---

(١) صلاح جودة، نصائح صندوق النقد الدولي (الحقيقة والخيال)، مجلة الاقتصاد والمحاسبة، نادي التجارة، ع ٦٤٣، مايو، ٢٠١٢م، ص٢٣.

(٢) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٢٢٥.

(٣) أرنست فولف، صندوق النقد الدولي: قوة عظمى في الساحة العالمية، ص٢٤٠.

ويرى المؤلف ـ في نهاية الكتاب ـ أن الطريق للقضاء على مثل هذه المنظمات يكمن في الاحتجاجات والثورات الشعبية التي ستغزو العالم في سنوات قليلة، مستشهداً بما يحدث من أزمات مالية، وتصاعد للحركات الاحتجاجية في معظم دول العالم من وول ستريت إلى اليونان، مروراً بمصر، والبرازيل، ووصولاً للدول الآسيوية(١).

الآتي فقد ربط الصندوق بين ضرورة إجراء إصلاحات سياسية، والتحول نحو النظم الديمقراطية، وإجراء تغيرات واسعة في الأنظمة المالية، والمصرفية، والمؤسسات الاقتصادية، مقابل تقديم القروض إلى تلك الدول التي تمر بتحولات نحو السوق الحر(٢).

وما دام صندوق النقد الدولي بهذا الكم من التربص والديكتاتورية والظلم للدول المعوزة فقد طرح بعض الباحثين مجموعة من الأفكار التي قد تسهم في تطوير عمل الصندوق، وهي كما يلي(٣):

١. إجراء بعض الاصلاحات الجوهرية في ميثاق صندوق النقد الدولي.

٢. إعطاء البلد المقترض حق تطبيق النموذج الاقتصادي المناسب له، وعدم إجباره عليه.

٣. التعاون مع باقي المؤسسات المالية للإقراض لتوحيد الجهود.

٤. إعفاء البلاد المدينة من التزامات إعادة الجدولة.

٥. شطب ديون المشروعات التي تعرضت للتدمير نتيجة عوامل عسكرية.

٦. إلغاء التزام الدول بتنفيذ الشروط عند الاستدانة أو إعادة الجدولة.

٧. مطالبة الدول الكبرى برفع الحواجز أمام صادرات الدول النامية.

٨. العمل على وضع مقاييس جديدة للانتداب لمجلس إدارة الصندوق، حتى يمثل الدول الفقيرة بنسبة أكبر.

٩. الاهتمام بالتنمية في الدول الفقيرة، وليس التعامل معها أنها مجرد أسواق لبضائع الدول الغنية الكبرى.

---

(١) إسلام أنور، قراءة في كتاب: صندوق النقد الدولي قوة عظمى، نافذة الوعي، الأربعاء، ٢١ سبتمبر, ٢٠١٦م.

(٢) ستار شدهان شياع الزهيري، الإصلاح الاقتصادي بين الإدارة الديمقراطية واقتصاد السوق، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، مج١، العدد السابع، ٢٠١٠م، ص٩٠، نقلاً عن: مصطفى محمد عبد الله، التصحيحات الهيكلية والتحول إلى اقتصاد السوق في البلدان العربية، (الإصلاحات الاقتصادية وسياسات الخصخصة في البلدان العربية)، بحوث الندرة الفكرية التي نظمها المركز الوطني للدراسات والتحليل الخاص بالتخطيط، الجزائر، إصدار دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص٣١.

(٣) حسام عبدالعال شعبان، الآثار المحتملة للاقتراض من صندوق النقد الدولي، ص(١٠٣٦ـ ١٠٣٧).

وقد اقترح أحد الباحثين بين الحلول البديلة لزيادة الموارد والاستغناء عن الاقتراض بفائدة ربوية من صندوق النقد الدولي ومن غيره[١]:

- ترشيد الإنفاق الحكومي (النفقات العامة).
- التركيز على الضروريات والحاجيات، والتي تهم أكبر طبقة من الفقراء الذين هم دون حد الكفاية، وتأجيل المشروعات الترفيهية والكمالية.
- محاربة الفساد المالي والاقتصادي، المستشري في ربوع الوحدات الحكومية، ولاسيما في المحليات، وما في حكمها، ومن نماذجه: الرشوة، والاختلاس، والتكسب، والتزوير، ونحو ذلك، وهذا يتطلب إعادة النظر في قوانين الرقابة، وتغليظ العقوبات، مما سيحافظ على موارد الدولة التي تستنفد من دون حق مشروع.
- العمل على تنسيق الجهود بين الدول الإسلامية من خلال عقد المؤتمرات الإقليمية والدولية بينها، والخروج بقرارات عملية واقعية، تضع الأساس لبناء نظام مصرفي إسلامي عالي، يهدف إلى توفير السيولة الكافية للتمويل بالقروض الحسنة؛ لمساعدة الدول الإسلامية الفقيرة والتي هي في أمس الحاجة إلى هذه الأموال، وإغلاق الفرصة أمام المؤسسات العالمية الربوية.

استنتاجات الدراسة:

- تتمثل أهمية الكتاب في حقيقة ما تم عرضه في داخله من حقائق واقعية، دون مداراة أو مواربة؛ حيث شن أرنست فولف هجوماً كاسحاً على صندوق النقد الدولي، وبيَّن أن أهدافه المعلنة ليست أهدافه السرية، وأنه ليس سوى مؤسسة تخدم مصلحة الطرف المهيمن عليها.
- تثير برامج التسوية التي يطالب بها صندوق النقد الدولي الكثير من الجدل حول مدى فاعليتها، فضلاً عن أن تدخله في تقرير السياسات الداخلية لدولة معناه شل مقدرة هذه الدول على اتخاذ القرار؛ حيث ينتقل مكان صنعه من العاصمة المحلية إلى واشنطن حيث مقر الصندوق.
- برامج الصندوق لا يمكن اعتبارها بديلاً عن الخطط الاقتصادية الوطنية التي تهدف إلى زيادة النمو الاقتصادي، ورفع مستويات التنمية في الدول، ولا بد من العمل على سن قوانين تسهم في تقديم بدائل اقتصادية تستند إلى الطاقات الوطنية.

(١) مظهر أحمد عمر حسن الراغب، قرض صندوق النقد الدولي في ميزان الشريعة الإسلامية، مجلة مصر المعاصرة، الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع، القاهرة، مج١٠٤, ع٥١٢، ٢٠١٣م، ص٥٥٧.

- الصندوق لا يسعى إلى حل مشكلات الدول المتأزمة، بل هو يسعى إلى تمكينها من استخدام قروضه، لتسديد ما في ذمتها من ديون أجنبية مستحقة، والدليل على ذلك أن الصندوق الذي يقدم المساعدات منذ أكثر من أربعين عاما، اتضح للعيان أنها مساعدات بلا أية زيادة في النمو أو الرخاء في الدول التي لجأت إليه، باعتباره الملاذ الأخير.
- وصفات صندوق النقد الدولي المفروضة على الدول الراغبة في الحصول على قروضه أسفرت عن خراب، وفقر مدقع، وبطالة مستمرة، وركود حاد، في كل الاقتصاديات التي لجأت إليه، الآتي فإن الصندوق بسياسته هذه يحارب الفقراء وليس الفقر، يحاربهم بفعل خلفيته الأيدولوجية، القائمة على مبادئ الليبرالية الحديثة، بل يحمل هؤلاء الفقراء سلبيات التقشف المالي.
- التبعات المترتبة على برامج صندوق النقد الدولي كارثية على الناس العاديين في البلاد المتأثرة، والتي هي في الغالب من أصحاب الدخول المتدنية، وذلك نظراً لأن حكومات تلك البلاد تتبع نفس النمط بتمرير وطأة الآثار الناجمة عن التقشف إلى الضعفاء والفقراء من العاملين الذين يتقاضون الأجور المتدينة.
- أهداف تأسيس صندوق النقد الدولي هي أهداف فضفاضة، وقابلة لاستيعاب أية سياسة اقتصادية قد تتبناها إدارة الصندوق.
- مكنت شروط صندوق النقد الدولي إدارة الصندوق عبر العصور من التدخل المباشر في سياسات الدول الاقتصادية والاجتماعية، فالصندوق لم يعد يقرض الدول فقط، بل صار يحدد أين ستنفق هذه الأموال.
- تطبيق سياسات التكييف الهيكلي في العديد من الدول، تسببت في غلق مئات المصانع، وبيعها، وتسريح الآلاف العمال، وتضاعفت نسبة الفقراء، وارتفعت معدلات التضخم بصورة غير مسبوقة، وتم إفقار ملايين البشر.
- تدخل الصندوق يعني تقويض سيادة الدول، عن طريق إجبارها على تطبيق إجراءات وتدابير ترفضها الأغلبية العظمى من سكانها، وعليه فإنها تخلف وراءها ذيولاً ممتدة من الدمار الاقتصادي والاجتماعي.
- منح القروض عالية المخاطر ما كان يهدف منها ـ بأي حال من الأحوال ـ مساعدة هذه البلدان في جهودها الرامية إلى تطوير الاقتصاد والهياكل التحتية، ولا إلى الحد من الفقر والمجاعات، بل كان الهدف ـ بادئ ذي بدء ـ استدراجها للوقوع في فخ المديونية، وذلك لتمكين الرأسمالية المالية الدولية لأن تحصل منها على تنازلات ما كانت ستقدم عليها أبدا في ظل ظروف عادية.

- يتمثل جانب آخر للتدمير الممنهج الذي مارسه الصندوق في غضه الطرف متعمداً عن كيفية توظيف أموال القروض التي كان يقدّمها للدول الفقيرة من قبل بعض الحكام المستبدين، والتي لم يذهب الكثير منها للصرف على المشروعات التي قدمت من أجلها القروض، بل لبنود أخرى مثل: شراء الأسلحة، وملء جيوب المفسدين.
- آلت نتائج سياسات صندوق النقد الدولي إلى تفاقم الأوضاع في الدول الفقيرة، فضلا عن حدوث اختلالات اقتصادية كبيرة، في الاقتصاد العالمي، ومن بين هذه الاختلالات: انتشار البطالة، وإفلاس المؤسسات الكبرى والبنوك، وحدوث ركود وانكماش في الاقتصاد العالمي.
- في الوقت الذي دأبت الحكومات على صب اللعنات على الصندوق أمام الرأي العام كانت هذه الحكومات تنسق خطواتها مع الصندوق من خلف الكواليس، وتنفذ خطته بكل حذافيرها.
- تناسى صندوق النقد الدولي أن جميع نصائحه إلى الشعوب والدول قد أتت بصورة عكسية، ولم يتم إصلاح اقتصاد أي دولة أخذت بروشته، فغالبا ما تكون نصائح الصندوق ما هي إلا نصائح نظرية، لا تراعي أرض الواقع، ولا تعتمد على المعلومات الكافية للدولة التي يقوم الصندوق بإعطائها النصائح الاقتصادية.

المؤسسات العربية ورسم قيادة مبتكرة

د. فادي محمد الدحدوح
خبير في البحث العلمي والدراسات العليا

مع انطلاقة عام ٢٠١٩م وخلاله، وفي ظل تقنيات القرن المتسارع بنا نحو ميادين التقدم والتمايز، كانت حقبة انطلاق شعلة العلم التي أوقدها الباحثون، والعلماء على مختلف اهتمامهم، فقد كان البحث العلمي دائماً هو الرائد نحو فرضية أو نظرية جديدة وهو تلخيص لظاهرة واستمزاج لفكرآتٍ؛ فهو نافذة ذات آفاق نحو كون وخلاصة جديدة.

لقد قال الحكيم الصيني ساما: أنت تستحق لقب القائد العظيم إذا صففت قواك بصورة فنية وركزتها بطريقة صحيحة ودفعتها للقتال في الوقت المناسب وأدرتها بحكمة وكافأتها بحق وحرستها بعناية ووزنت الأمور بدقة.

تعمل مؤسساتنا العربية في ظل بيئات عمل معقدة وغاية الصعوبة، ولذلك أصبحت المؤسسات العربية مطالبة بالابتكار وتبنى هذا النهج باعتباره أحد الوسائل المهمة لمواجهة التحديات العاصفة بالبيئة العربية في كافة الأصعدة، وتحقيق البقاء والاستمرار نظرا لما يحققه الابتكار من تميز وإتقان في مجال عمل تلك المؤسسات.

من جانب أخر فإن نجاح تلك المؤسسات في خلق القيادة الابتكارية يتوقف على مدى استجابة العنصر البشري لهذه العملية، ولذلك نشأت مسؤوليات جديدة على عاتق قيادة الموارد البشرية في مؤسساتنا العربية تتلخص في اعداد استراتيجيات لتنمية وصقل مهارات العاملين وتعمل على خلق التأثير الايجابي في اتجاهاتهم وسلوكاتهم المتعلقة بالعملية الابتكارية.

إن مديري المؤسسات العربية لا ينبغي لهم أبداً أن يقفوا عند حد معين من الكفاءة والفعالية، ولا أن يقتنعوا بما وصلوا إليه من أداء لعملهم بإخلاص، إذ لا بد أن يكون لديهم الطموح والدافعية القوية لأبعد من ذلك بكثير، ومن ذلك أن يكونوا على استعداد تام للتكيف مع متطلبات العصر، من خلال تفجيرهم للطاقات الإبداعية، وحفز القدرات الإبتكارية في العاملين معهم، بحيث يصبح الإبداع والإبتكار والتجديد والمرونة المحك الأساسي.

وعلى الرغم من وجود بعض الجهود في رعاية قيادة الإبتكار والإبداع في مؤسساتنا العربية، إلا أنها لا تزل جهوداً محدودة وقاصرة وتعانى كثيراً، وغير كافية لتحقيق الرعاية المطلوبة للإبداع والمبدعين.

ومع هذا فما نشهده من جهود مخلصة في تطوير مؤسساتنا العربية، تجعلنا متفائلين بإمكانية تحويل مؤسساتنا العربية من مؤسسات تقليدية إلى مؤسسات فعالة، نجد فيها الرعاية التي تناسب في رعاية المبدعين والمتفوقين.

إن مؤسساتنا العربية في السنة الجديدة تتطلب من قيادة المؤسسات العربية جهداً إضافياً، كي نصل لمسارات خلاقة مبدعة، من خلال التخطيط للأهداف، ووضعها، أو تحديد الإجراءات المناسبة للتنفيذ والمتابعة، ويكون ذلك من خلال المشاركة والمناقشة واللقاءات المتنوعة والمختلفة داخل المؤسسات وخارجها، كل هذا يهدف إلى تحقيق أهداف المؤسسة العربية.

إن جوهر تحقيق هذه الصورة المطلوبة في مؤسساتنا العربية هو وجود قيادة إدارية مؤهلة وقادرة على خلق وإدارة هذه الاستراتيجيات وتحقيق الهدف المرجو منها وكذلك قدرتها على إدراك أهمية المورد البشري الذي تمتلكه هذه القيادة، وتُعدّ القيادة الابتكارية من أهم الاحتياجات في عصرنا الراهن ومع بزوغ فجر سنة جديدة، كونها تمتلك البصيرة والقدرة على تهيئة المناخ المناسب للابتكار وتحديد المشكلات والمعوقات التي تحول دون استحداث أساليب ابتكارية في المنظمة.

وأخيراً.. إن مؤسساتنا العربية ليست بحاجة إلى مديرين، بل لقادة يعملون على إقناع الناس ومن حولهم برؤى منظماتهم ورسالتها لإحداث التغيير المنشود للأمة العربية.

قراءة استراتيجية في رؤية رئيس محارب

د. سامر مظهر قنطقجي

دخلت شركة هواوي في وضع المعركة للبقاء على قيد الحياة في ظل أزمة وجود ضد أكبر دولة في العالم؛ وأكبر اقتصاد فيه، قدم رئيسها التنفيذي ومؤسسها تصريحا صحفياً[1]، تضمّن خطة استراتيجية لمجابهة الأزمة التي تواجهها.

استخدم رئيسها مصطلحات وتعابير عسكرية في خطته، التي توجهت بمعظمها نحو الداخل من خلال تعزيز نقاط القوة وتجنب نقاط الضعف مركزاً على الفرص والتهديدات. وذلك على الشكل الآتي:

للإدارة العليا:

[1] مؤسس هواوي: سنشكل جيشاً يسيطر على العالم، ٢١ أغسطس ٢٠١٩، رابط:
قال مؤسس شركة هواوي (رين جنغفي): إن هواوي تعتزم خلال العام الحالي الإنفاق أكثر على معدات الإنتاج لضمان استمرارية الإمداد، وتقليص الوظائف الزائدة، وتقليل المديرين غير الكفؤين، وذلك في وقت تعيش فيه الشركة (مسألة حياة أو موت) إثر قيود التصدير الأمريكية.
تأتي تصريحات رين في حين أعلنت الولايات المتحدة يوم الإثنين الماضي أنها ستمدد المهلة المقدمة لشركة هواوي التي تسمح لها بشراء مكونات من شركات أمريكية لتزويد العملاء الحاليين، لكنها أضافت أيضاً أكثر من ٤٠ كياناً من كيانات هواوي إلى قائمتها السوداء الاقتصادية.
وفي مذكرة أُرسلت إلى الموظفين يوم الإثنين محملةً باستعارات عسكرية، طلب رين البالغ من العمر ٧٤ عاماً من الموظفين العمل بقوة لتحقيق أهداف المبيعات مع دخول الشركة في وضع المعركة للبقاء على قيد الحياة في ظل هذه الأزمة.
قال رين الضابط السابق في الجيش الصيني في المذكرة التي اطلعت عليها وكالة رويترز: تواجه الشركة لحظة حياة أو موت.
وأضاف: إن كنت لا تستطيع القيام بالمهمة، فافسح المجال أمام دبابتنا لتمر؛ وإن كنت تريد أن تنزل إلى ميدان المعركة، يمكنك ربط حبل حول الدبابة لسحبها، الجميع يحتاج إلى هذا النوع من التصميم.
يُشار إلى أن هواوي تعد موضوعاً رئيسياً في الحرب التجارية الدائرة بين الولايات المتحدة والصين منذ سنة، إذ فرضت واشنطن على الشركة حظراً تجارياً في شهر أيار/ مايو الماضي بسبب مخاطر على الأمن القومي. ومع ذلك، فقد سجلت هواوي قفزة في الإيرادات بنسبة ٢٣٪ في النصف الأول، مدعومة بمبيعات الهواتف الذكية القوية في سوقها المحلية.
قال رين في المذكرة: في النصف الأول، بدت نتائجنا جيدة، ويُحتمل أن يكون ذلك بسبب أن عملاءنا الصينيين كانوا متعاطفين، وأدوا مع عليهم من دفعات في الوقت المناسب، وحجم التدفق النقدي الكبير جعلها تبدو جيدة، ولكن هذا لا يمثل الوضع الحقيقي.
ولكنه عبر عن ثقته في نتائج هواوي على مدار العام وقال: إنه يحتاج إلى إنفاق الأموال وحل مشكلة استمرارية الإنتاج من خلال زيادة الاستثمار الاستراتيجي في أشياء، بما في ذلك: معدات الإنتاج.
ووفقاً للمذكرة، تعمل هواوي التي توظف ما يقرب من ١٩٠٠٠٠ شخصاً في جميع أنحاء العالم على إصلاح عملياتها على مستوى العالم من خلال منح المزيد من القوة لخطوط المواجهة، واستبعاد وظائف التقارير، والقضاء على الوظائف غير الفعالة.
وقال رين: خلال ٣-٥ سنوات، سوف تتدفق هواوي بدماء جديدة. وأضاف: بعد النجاة من هذه اللحظة العصيبة في التاريخ، فإن جيشاً جديداً سوف يولد. ماذا سيفعل؟ سوف يسيطر على العالم.
ومع أن رين كان قد قال في شهر حزيران/ يونيو الماضي: إن الحظر كان أسوأ من المتوقع، وإن إيرادات هواوي قد تبقى ثابتة خلال العامين المقبلين، إلا أنه دعا الموظفين في المذكرة إلى بذل قصارى جهدهم في تحقيق هدف المبيعات الذي حُدد بداية العام قبل الحظر، والمتمثل في زيادة العائدات إلى ١٢٥ مليار دولار أمريكي مقارنةً بنحو ١٠٠ مليار دولار في عام ٢٠١٨.
كما حذر رين من مخاطر التدفق النقدي إن لم يتم دفع المستحقات في الوقت المناسب. وطلب من الموظفين يكونوا متحفظين في ضمان دفع المستحقات في الوقت المناسب من قبل العملاء، وإلا فإن قلة السيولة قد تكون قاتلة للشركة.

- الإنفاق أكثر على معدات الإنتاج لضمان استمرارية الإمداد.
- ضغط النفقات:
  * حذف الوظائف الزائدة.
  * خفض المدراء غير الكفؤين.

للعاملين:

- العمل بقوة لتحقيق أهداف المبيعات.
- انسحاب الضعفاء؛ بقوله: إن كنت لا تستطيع القيام بالمهمة، فافسح المجال أمام دبابتنا لتمر.
- تقديم المستمرين لبدائل لما قد يواجهونه؛ بقوله: إن كنت تريد أن تنزل إلى ميدان المعركة، يمكنك ربط حبل حول الدبابة لسحبها؛ أي لا يحق لأي فرد من هواوي ترك أي مورد يخص الشركة خلفه.

الهدف:

- توجيه إنفاق الأموال لحل مشكلة استمرارية الإنتاج بزيادة الاستثمار الاستراتيجي في الأشياء، كمعدات الإنتاج.

التهديدات:

- إجبار الحكومة الأمريكية شركة هواوي على شراء احتياجاتها من شركات أمريكية.
- إضافة أكثر من ٤٠ كياناً من كيانات شركة هواوي إلى القائمة الأمريكية الاقتصادية السوداء.

الفرص:

- سوف تتدفق في هواوي دماء جديدة. بغية إيجاد جيش جديد، وذلك بعد النجاة من هذه اللحظة العصيبة في التاريخ من حياة الشركة، أما ماذا سيفعل هذا الجيش؟ فسوف يسيطر على العالم.
- تحويل نقاط الضعف إلى نقاط قوة؛ فالشركة توظف ما يقرب من ١٩٠٠٠٠ شخصاً في جميع أنحاء العالم ستستثمرهم لإصلاح عملياتها على مستوى العالم من خلال منح المزيد من القوة لخطوط المواجهة، واستبعاد وظائف التقارير، والقضاء على الوظائف غير الفعالة.

نقاط القوة:

- زيادة إيرادات هواوي بنسبة ٢٣٪ في النصف الأول من عام ٢٠١٩، مدعومة بمبيعات الهواتف الذكية القوية في سوقها المحلية. مع أن هدف المبيعات بداية عام قبل الحظر، كان زيادة العائدات ٢٥٪ لترتفع من ١٠٠ مليار دولار عام ٢٠١٨ إلى ١٢٥ مليار دولار أمريكي عام ٢٠١٩.
- الواقعية وعدم الغرور: فبعد أن أظهرت الشركة نتائج جيدة، عزا رئيسها ذلك لاحتمال أن يكون بسبب تعاطف العملاء الصينيين.
- تسديد عملاء الشركة ما عليهم من دفعات في الوقت المناسب.
- عزز حجم التدفق النقدي الكبير وضع الشركة، لكن رئيسها أبدى خشيته من أن هذا قد لا يمثل الوضع الحقيقي.

نقاط الضعف:

- تزايد مخاطر التدفق النقدي إذا تخلف سداد المستحقات في الوقت المناسب.

الأبعاد الأخلاقية وعلاقتها بتدعيم الحوكمة الجيدة

د. زكرياء بله باسي
أستاذ بجامعة الوادي- الجزائر

لا تفتأ الأوساط الاقتصادية العالمية أن تطالعنا بالعديد من المصطلحات والمفاهيم على فترات متقاربة، بالأمس " عولمة وخوصصة " واليوم " إفصاح وشفافية وحوكمة " .

إن مثل تلك المصطلحات والمفاهيم، تعبير من واضعيها عن حاجة ما وصل إليه الواقع الاقتصادي في تغيره، ومحاولة منهم لتوصيف بيئة ملائمة، يتحقق من خلالها أفضل تخصيص ممكن للموارد الاقتصادية، ورفع القدرة التنافسية للشركات، وتيسير اندماج الاقتصاديات الوطنية في الاقتصاد العالمي، وتحرير التجارة الخارجية، وذلك من خلال تطبيق معايير عامة، واعتناق مصطلحات ومفاهيم واحدة، تساهم وتيسر عملية الاندماج والتكامل بين الاقتصاديات المختلفة، وخاصة بعد ثورة الاتصالات والمعلومات التي قربت الفواصل بين أقطار الكرة الأرضية، بحيث أصبح الناس وكأنهم يعيشون في قرية كونية واحدة.

والواضح أن مثل تلك المصطلحات الاقتصادية المستحدثة، تظل في دائرة البحث العلمي والتجريب العملي المقارن، لفترة قد تطول أو تقصر، بالنظر إلى ما قد يحيط بها من غموض علمي أو مشكلات عملية في التطبيق، أو ندرة مراجعها في البحث، إلى أن تضبط وتستقر مفاهيمها الدقيقة في القاموس الاقتصادي.

وقد آثرنا معالجة هذه المداخلة، كبحث في ثنايا هذا الملتقى، باعتبار أن الإنسان هدف ووسيلة، سواء أكان حاكما أم محكوما، مقررا أم منفذا، لمبادئ وأسس الحوكمة الجيدة ليس في مقدوره غالبا، بمعيار غرائزه– ومنها حبه للمال– أن ينفذ تلك الأسس والمبادئ تنفيذا شفافا، مهما كانت دقة تلك المبادئ وشمولها، دون سياج من الأخلاق الحميدة يؤمن بها ويدافع عنها.

وفي إطار مضمون تلك المقدمة، قسم هذا البحث إلى ثلاث محاور على النحو الآتي: الحوكمة الجيدة وعناصرها، والأخلاق الحميدة وأبعادها، والأبعاد الأخلاقية وعلاقتها بتدعيم الحوكمة الجيدة.

المحور الأول: الحوكمة الجيدة وعناصرها

يهتم هذا البحث بمحاولة توضيح مصطلح " الحوكمة " وأسباب نشأته وتطوره وأهمية تطبيقه، وما يمكن أن ينتج على ذلك من آثار مع الوقوف على عناصر الحوكمة الجيدة، من ثنايا ما عقد حول الحوكمة من ملتقيات، وما سن لها من قوانين، وما ذكر حولها من آراء... وذلك على النحو الآتي:

أولا-مصطلح الحوكمة: التعريف والنشأة والتطور

ترجم المجمع اللغوي العربي، المصطلح الانجليزي: Governance إلى مصطلح " الحوكمة " أو " الحاكمية" عند المجمع العربي للغة في الأردن. والظاهر أن هذا المصطلح الانجليزي اسم مشتق من اسم: Government، دال على الأداة التي يقع بها الفعل، وتعني الإدارة والقيادة، كما تعني التدبير والضبط.

وقد نبت هذا المصطلح الاقتصادي الحديث في تقارير وتوصيات المؤسسات الاقتصادية والمالية العالمية منذ ما يزيد على خمسة عشر عاما، حيث قدمه البنك الدولي وصندوق النقد الدولي تحت اسم " حوكمة الشركات " في إطار التوصية بتحديد الملكية والإدارة والفصل بينهما في الشركات العامة مع وضع معايير واضحة للمساءلة المحاسبية وآليات قوية للإفصاح والشفافية.

ويرجع تسارع انتشار الحوكمة إلى الانهيارات المالية في بعض الدول والشركات، وأبرزها الكارثة المالية التي أصابت دول جنوب شرق آسيا (عام ١٩٩٧)، ومسلسل سقوط وانهيار العديد من الشركات الكبرى، منها شركة " أنرون" وشركة " وورلدكوم " وشركة " بارملات " وغيرها(1).

وقد تبين أن وراء تلك الظاهرة الاقتصادية السالبة العديد من الأسباب المتداخلة منها: ضعف العمل بشكل مؤسسي، وما يترتب عليه من إهدار حقوق المساهمين، وضعف النظم القانونية، وما تترتب عليها من إخلال بتنفيذ العقود، وتدني نوعية البيانات، وما ترتب عليها من تزوير في الحسابات وبالآتي التلاعب في الأرباح والميزانيات، فضلا عن ضعف الرقابة المالية، وخاصة رقابة ومتابعة أصحاب الشركات وأصحاب المصالح، وغير ذلك من الأسباب التي ساعدت على خلق بيئة ملائمة لتفشي الفساد المالي والمحاسبي(2).

وقد كان من أهم آثار تلك الانهيارات المالية، لبعض الدول والشركات، وما كشفت عنه استطلاعات (عن معهد جالوب) من انخفاض ثقة الشعوب في العديد من المؤسسات الرئيسية لمجتمعاتها وتراجع تلك الثقة في الشركات سواء الوطنية أم متعددة الجنسية، وفي مثل تلك الأجواء فإن التحدي الأكبر هو كيفية بناء تلك الثقة مجددا(3).

تلك الأسباب وغيرها، دفعت المؤسسات الدولية الاقتصادية والمالية، إلى اعتناق مفهوم أوسع " للحوكمة " لا يقتصر على حوكمة الشركات تحديدا بل ليمتد إلى حوكمة الاقتصاديات الوطنية بصفة خاصة، والاقتصاد العالمي بصفة عامة، من منطلق أن الشركات النوعية سواء كانت محلية أو عابرة للقارات، تمثل الأواني المستطرقة الاقتصادية، في تبادل التأثير والتأثر فيما بينها سلبا أو إيجابا في الفترة الطويلة.

وبذلك اتسع نطاق ومفهوم الحوكمة، وانصرف إلى كيفية وضع هيكل من عناصر أساسية معينة (الحوكمة الجيدة) تسمح بقدر كبير من الحرية في ظل سيادة القانون، ويشكل منهجا للعمل الاقتصادي والمالي، ويساعد على تحديد الأهداف وسبل تحقيقها والرقابة عليها، ويضمن استمرارية مستدامة بأسلوب علمي يقاوم " أزمة الإدارة " ويُفعل أسلوب " إدارة الأزمة " في ظل تخطيط استراتيجي بعيدا عن التخطيط والعشوائية(4).

وقد أضحت الحوكمة في الوقت الراهن أحد المعايير التي تقيس بها مؤسسات التقييم الدولية قدرة المنشأة أو الشركة على رشد الإدارة وعمق ووضوح المعلومات المقدمة للمستثمرين وأصحاب المصالح. وجودة ودقة البيانات المقدمة عن الشركة في موقعها على شبكة المعلومات الدولية.

ثانيا- تطبيق الحوكمة: الأهمية والآثار

نتيجة لعولمة الاقتصاد، وانفتاح الأسواق المالية، والتطور المتسارع لوسائل وأدوات انتقال رؤوس الأموال من الأسواق ذات الفوائض الكبيرة التي تبحث عن فرص استثمارها في الشركات، فإن ولوج موضوع " حوكمة الشركات " أصبح مطلبا ملحا لما يتطلبه من اعتماد لتطوير المعايير والبنى الأساسية الضرورية، واتخاذ خطوات إصلاحية جذرية وجريئة في التطوير، وإيجاد عدد من التشريعات القانونية والضريبية والإدارية والمالية والرقابية، وفي تطوير فاعلية الإدارات الرشيدة، لرفع مستوى أداء القيمين على إدارة المنشآت الاقتصادية، وفي اعتماد معايير المصداقية والشفافية والعدل والمساءلة.

كل ذلك- وغيره- في سبيل خلق بيئة اقتصادية جاهزة ومحفزة لجذب وتشجيع المستثمرين في ظل مناخات الثقة في حماية حقوقهم، وبهدف نمو مستدام في الاقتصاد الدولي بصفة عامة والاقتصاد النامي بصفة خاصة.

والواقع أن أهمية " حوكمة الشركات " وإدارتها إدارة رشيدة بعيدة عن الضبابية، وفي اتجاه الشفافية، إنما ترجع بالدرجة الأولى إلى أهمية تلك الشركات ذاتها، لما تلعبه من وجود هام ودور أساسي في مختلف القطاعات الاقتصادية، وما يترتب عليه من إسهام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والمساهمة في حل مشكلة البطالة، ورفع مستوى المعيشة، وتطوير وتنمية الصادرات والمساهمة في سد فجوة الادخار المحلي، وفجوة الصرف الأجنبي

– وخاصة في الاقتصاديات النامية – فضلا عن قدرة هذه الشركات على التجاوب والتأقلم السريع مع المتغيرات في الأسواق الاقتصادية، التي هي بطبيعتها دائمة التقلب والتغير.

كما ترجع أهمية " حوكمة الشركات " أيضا إلى رفع ثقة المستثمرين وتشجيعهم على زيادة معدل استثماراتهم، وخاصة بالنسبة للشركات الصغيرة والمتوسطة، التي تعاني – عكس الشركات الكبيرة – من مشكلات التمويل: تأسيسا وإنتاجا وتصريفا وتوسعا من جهة، وأهمية تلك الشركات الصغيرة والمتوسطة من جهة أخرى. لا من حيث عددها فقط بل ومن حيث ارتفاع نسبة القوى العاملة بها، فعلى صعيد إعداد تلك الشركات فإنها تمثل ما متوسطه ٩٠٪ من المؤسسات والشركات على مستوى العالم المتقدم والنامي، ويصل هذا إلى الرقم إلى ٩٨٪ من مجموع الشركات في الولايات المتحدة، حيث تستوعب ما يفوق نسبة ٥١٪ من القوى العاملة في شركات القطاع العام والخاص(5).

إذن، بالنظر إلى أهمية وآثار تطبيق معايير حوكمة الشركات، أن تعقد العديد من المؤتمرات العالمية والمحلية تحت شعارات تدور حول " حوكمة الشركات " ومن أمثلتها:

– اختيار المنتدى الاقتصادي العالمي الذي عقد في " دافوس " بسويسرا في دورته الثالثة والثلاثين موضوع " الحوكمة وبناء الثقة " عنوانا له...وهو أمر فرض نفسه على فعاليات منتدى عالمي يعقد وسط مناخ اقتصادي يتسم بتدني درجة الاطمئنان ويشوبه الكثير من تراع درجة الثقة.

وقد أوصى هذا المنتدى، بضرورة تطوير كافة الأطر التنظيمية والمحاسبية والرقابية الكفيلة بحماية حقوق المساهمين والعملاء وأصحاب الصلة بالشركات من خلال تعظيم التطبيقات السليمة للقائمين على إدارة الشركة والحفاظ على حقوق الأطراف وأصحاب المصالح بها.

ثالثا– عناصر الحوكمة الجيدة:

يمكننا أن نستخلص بعض عناصر الحوكمة الجيدة من ثنايا ما تقدم: كالإفصاح– الشفافية – الإدارة الرشيدة– المعايير الواضحة للمساءلة المحاسبية– الرقابة المالية الفاعلة – سلامة التشريعات القانونية والضريبية– البعد عن الاحتكار – تطوير الأطر التنظيمية والمحاسبية – رفع مستوى نوعية البيانات.

إلا أن الأمر ما زال في حاجة إلى إمكانية الكشف عن المزيد من عناصر الحوكمة الجيدة من خلال التركيز على أهم الإصلاحات المطلوبة من الدول لتنفيذ الحوكمة هو الإصلاح النظام الضريبي، كمثال. وما يترتب عليه من

رفع المقدرة التنافسية بين الشركات، بالإضافة إلى أن تطبيق نظام الحوكمة بصفة عامة يحد من التدخل الحكومي والسياسي في الاقتصاد لإتاحة الفرصة لآليات السوق لتحقيق أفضل تخصيص ممكن للموارد الاقتصادية.

وفي هذا الإطار، أشار المفكر الأمريكي – اليباني الأصل " فرانسيس فوكوياما " في كتاب الأخير " بناء الدولة: الحوكمة والنظام العالمي في القرن الواحد والعشرين " (6). على دور " المؤسسات " ودور " الدولة " خاصة في البلاد الأكثر فقرا، والتي تبدو عاجزة عن إدارة الدولة: كالصومال وكامبوديا والبوسنة ورواندا، وأوضح أن مثل تلك الدول الضعيفة تعد مصدر انتهاك حقوق الإنسان، ومصدر أفواج المهاجرين ومأوى الإرهابيين – لهذا السبب كما " فوكوياما " – تحول الاهتمام الغربي من التركيز على الأسواق والتقليل من دور الدولة الذي كان سائدا في الثمانينات من القرن العشرين إلى الاهتمام بمؤسسات الدولة وحسن الإدارة.

ونرى أن الاهتمام الغربي والأمريكي خاصة، في بناء الدولة (من الديمقراطية) وحوكمة الشركات (من الناحية الاقتصادية) في البلاد العالم النامي بصفة خاص، يستدعي درجات متفاوتة من التدخل وانتهاك السيادة الوطنية لهذه الدول، الأمر الذي لا يتسق مع اعتبارات الاستقرار السياسي العالمي اللازم للمساهمة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي بين الدول الغنية والدول النامية.

لذلك فمن الأجدر أن ترفع الدول النامية من مستوى حوكمة شركاتها من ناحية – كما أن الشركات ذاتها من ناحية أخرى – لا ينبغي له أن تنتظر حتى تفرض عليها الحكومات معايير معينة للحوكمة وأساليب إدارة معينة، قد تكون في الأوقات غير المناسبة لها، وما يترتب على ذلك من اضطرابات في أعمالها، الأمر الذي يفضل معه المبادرة بتوفيق أوضاعها بنفسها في إطار متطلبات الحوكمة الجيدة.

المحور الثاني: الأخلاق الحميدة وأبعادها

تشترك الأديان السماوية – كالإسلام والمسيحية واليهودية – في أصولها لأن مصدرها واحد، هو الله الواحد الأحد وهدفها واحد، وهو توجيه الإنسان إلى طريق الكمال.. تصديقا لقوله الله تعالى في محكم تنزيله: " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ " (7).

أما فروع تلك الأصول فهي الشرائع الخاصة بكل ملّة على حدة بما يناسب زمانها ومكانها وحالها قال تعالى: " لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً " (8).

ومن أهم الأصول المشتركة بين الأديان: التوحيد وهو دعوة كل رسول جاء من قبل الله، وكذا الأخلاق " (9).

" أصحاب الأخلاق الدينية يرون أن الإله هو مصدر الالتزام الخلقي، وأن فكرة الواجب إنما تبعت من قانون وضعه الله تعالى في تشريعه منذ الأزل، فأمر الله تعالى بألا تسرق أو تكذب إنما يعتبر التزاما أخلاقيا في نفس الوقت الذي يعتبر فيه التزاما دينيا، وهنا نجد أن الأخلاق تتطابق مع الدين وأن الفعل الخلقي هو في صميمه فعل ديني" (10).

ولما كانت الأخلاق من أصول الدعوات الإلهية فإن بحث ما هيتها وجوانبها وأثار الالتزام بها في الإسلام، ينصرف كذلك إلى سائر الدعوات الإلهية السابقة عليه.

وفيما يلي محاولة لتوضيح ماهية الأخلاق ومكانتها في الإسلام وآثار الالتزام بها وأهم جوانبها على النحو الآتي:

أولا: ماهية الأخلاق ومكانتها في الإسلام

ثانيا: أبعاد الأخلاق الحميدة

ثالثا: آثار الالتزام بالأخلاق الحميدة

أولا- ماهية الأخلاق ومكانتها في الإسلام:

الأخلاق: هيئة في النفس تصدر منها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية. أي أن الأخلاق هي انفعال الظاهر بحركة الباطن وإرادته، فهي لهذا مرتبطة بالعقيدة والشريعة معا (11).

والأخلاق: هي السجايا النفسية الراسخة التي يصدر عنها السلوك البشري، وقد كلف المؤمنون بها، كالصدق والصبر والمواساة والوفاء بالعهد، والعفة، والإتقان والإحسان وهي ركائز – كما نرى – للمعاملات بين الناس (12).

لقد دل تاريخ الرسالات في جميع مراحلها، على أن السعادة التي جعلت هذه الشُعب سبيلا لها، لابد من الحصول عليها بحسن الخلق... ذلك أن الإيمان الذي يرجع فقط إلى مجرد العلم بوحدانية الله... والعبادة التي ترجع فقط إلى الصور والأشكال... والنظم التي ترجع فقط إلى مواد القوانين والفقه، ونظرة الإنسان للكون التي ترجع فقط إلى المظاهر العامة.. والمتعة بالحياة التي ترجع فقط إلى إصابة لذائذها – دل تاريخ الرسالات وإرشاداتها – على أن انقطاع هذه الشُعب في جوهرها عن شُعبة الأخلاق وانقطاع شعبة الأخلاق عنها، مما يهدم في النفوس وفي الحياة، الأثر الذي ترتبه الحكمة الإلهية في الإنسان على التكليف بهذه الشعب والإرشاد إلى التمسك بها.

وليس الخلق المطلوب في صون هذه الشعب التي يرجع إليها الدين عند الله، مجرد أن يعرف الإنسان الصدق فضيلة والكذب رذيلة، وأن الإخلاص سمو، والمكر والخداع انحطاط، ولا مجرد الحديث فيما بين الناس عن ذلك، ما زالالناس تخلوا عن الأخلاق الفاضلة.. إنما الخلق هو أفعال النفس وتأثرها بما ينبغي له أن يكون، فيفعل، وبما لا ينبغي له أن يكون فيترك، والخلق بهذا المعنى: هو الصمام لهذه الشعب كلها، فالعقيدة وما إليها دون خلق شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، والخلق دون عقيدة، ظل لشبح غير مستقر(13).

ومن هنا كان للأخلاق أهمية كبيرة ومكانة سامية وعناية تامة في الإسلام. وليس أدل على ذلك من وصف الله تعالى، لرسوله الأمين – – صلى الله عليه وسلم – – بأنه مثل للأخلاق الفاضلة، فقال جل شأنه مخاطبا رسوله " وإنك لعلى خلق عظيم"(14) وقد بين الرسول ذو الخلق العظيم – أن مكارم الأخلاق جزء من رسالته، وانه بعث ليتممها، قال: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق "(15).

وفي أحاديث رسول الله – – صلى الله عليه وسلم – – بيان لأهمية الأخلاق الفاضلة في الدنيا والآخرة، كما يتضح من قوله: " أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء.." (16).

ثانيا– أبعاد الأخلاق الحميدة:

الإنسان مركب من جسد مدرك بالبصيرة – الصورة الظاهرة – ويطلق عليها " الخلق " – بفتح الخاء وسكون اللام – وذلك بجانب الروح والنفس – الصورة الباطنة – ويطلق عليها " الخُلق " – بضم الخاء – ولكل من الصورتين هيئة إما جميلة وإما قبيحة، إما حسنة وإما سيئة.

والخُلق – الصورة الباطنة – عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال المحمودة عقلا وشرعا. سميت تلك الهيئة خلقا حسنا،وإن كان الصادر عنها الأفعال السيئة سميت الهيئة خلقا سيئا، وللأخلاق في صورتها الباطنة قوى وأصول وفروع وعلامات: – تتمثل قوى الباطن في أربعة قوى هي: قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل:

١. **قوة العلم**: حسنها وصلاحها في أن تصير بها سهلة إدراك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، وبين الحق والباطل في الاعتقادات، وبين الحلال والحرام في المعاملات، وثمرة تلك القوة هي: الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وهي التي قال الله تعالى في خيرتها " وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا "(17).

٢ . **قوة الغضب**: حسنها وصلاحها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة، وحسن قوة الغضب يعبر عنها بالشجاعة، وإن مالت تلك القوة عن الاعتدال بالزيادة تسمى تهورا وبالنقصان تسمى جبنا.

٣ . **قوة الشهوة**: حسنها وصلاحها في أن تكون تحت ما تقتضيه الحكمة – أي ما يقتضيه الشرع والعقل– وحسن تلك القوة واعتدالها يعبر عنه بالعفة، وإن مالت عن الاعتدال بالزيادة تسمى شرها، وبالنقصان تسمى جمودا.

٤ . **قوة العدل**: تتمثل في ضبط الشهوة والغضب في إطار ما يقتضيه الشرع والعقل، والعدل ليس له طرفا زيادة أو نقصان بل له ضد واحد هو الجور. ومن خلال تلك القوى الباطنة نبعث أصول الأخلاق وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.

ومتى استوت قوى الخلق الباطنة الأربعة، واعتدلت أصولها شكلت الإطار العام للأخلاق الحميدة كلها. ومن فروع خلق الشجاعة: الكرم والنجدة، وإن مالت للإفراط أو التفريط، صدر عنها البذخ والتكبر والمهانة والمذلة.

ومن فروع خلق العفة: الحياء والقناعة، وإن مالت للإفراط أو التفريط صدر عنها الشر والخبيث، والحسد والشماتة.

ومن علامات حسن الخلق لدى الإنسان، أن يكون كثير الصلاح والعمل، قليل الأذى والزلل، عفيفا صدوق اللسان.

ثالثا– آثار الالتزام بالأخلاق الحميدة:

ما أشد وقع حكم الرسول صلى الله عليه وسلم على التي لم تلتزم بحسن الخلق – قيل له فيها: " إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: لا خير فيها، هي من أهل النار "(18).

ما أشد وقع هذا الحكم على هؤلاء الذين يقفون من الدين عند الهمهمة بالتسبيح، وكثرة التحدث عن الفضيلة وصور العبادات وأشكالها، ثم ما كانت نفوسهم مقطوعة إلا على الغش والمكر والخداع، والملق والنفاق، يدبرون السوء، ويفسدون ما بين الناس من روابط مستعينين بتشويه الحقائق، ودس الأكاذيب والعمل على ستر كل ما يقوض دعائم الحياة الطيبة الفاضلة، هؤلاء في واقعهم ليسوا من التدين في شيء، وأن الله سبحانه لم يجعل

الإيمان به أساس دينه، ولم يجعل العبادات أركانا لهذا الدين، إلا لما تحدثه من أثر طيب في النفوس، يكون عنصرا لتكون الخلق الفاضل.

ولننظر في مثل قوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا" (19). لنعرف أن هؤلاء بوضعهم الخلقي، ومسلكهم بين الناس والمصالح العامة، استحلوا لأنفسهم ما بطن من الفواحش واستحلوا لأنفسهم الإثم والبغي بغير الحق، وتلك أمور محرمة في الإسلام.

فالإسلام يسمو بأخلاق المسلم. ويدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق في معاملته للناس، لأن الأخلاق هي الجانب التطبيقي للمسلم في سائر أعماله ومعاملته وعلاقته بالناس، وعن طريق السمو في العلاقات الإنسانية، يتشكل المجتمع الفاضل، ويصبح أفراده إخوة متحابين مترابطين، كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، فالأخلاق الفاضلة إذن هي التي تصلح بها الأمة ويستقيم بها المجتمع، ويسود بها الحب والوئام بين أفراد البشر.

وبالنظر إلى تلك الأهمية العملية للأخلاق الحميدة، وأثرها الهام في حياة الفرد والجماعة، فقد شكلت الأخلاق احد الأركان الأربعة لبرنامج الإسلام للحياة الإنسانية بجانب العقائد والعبادات والمعاملات.

والأصل في تلك الجوانب – دون المعاملات – ورود الحكم الشرعي عنها: إخبارا بالعقائد، وإنشاء ورسما في العبادات، وكشفا وتصحيحا في الأخلاق مع التكليف بها جميعا (فعلا أو تركا).

والملاحظ في تلك الجوانب الثلاثة: العقائد والعبادات والأخلاق، هو الانقياد والتعبد، لذلك جاء بها الوحي على سبيل الاستيعاب، وجعلها الله تعالى أصولا ثابتة على ألسنة الرسل جميعا، لا مجال فيها للرأي والاجتهاد، إلا بمقدار ما تتفاوت فيه العقول من فهم النصوص الشرعية.

لذلك حرم الإسلام طرق الكسب غير المشروعة في المعاملات، ولأنها أيضا تخل بمفهوم الأخلاق، كالربا والتطفيف في الكيل والميزان والاحتكار والاغتصاب والسرقة، والغش والظلم والخداع، وحرم كل خبيث من الأقوال والأفعال والأشياء، وأباح كل طيب من أبواب الكسب كالمزارعة والمشاركة والمضاربة.

فالأخلاق الفاضلة لأزمة للإنسان في تعامله مع المال في كافة صورة وأوضاعه، فهي التي تقوم سلوكه وتطهر النفس البشرية من ضروب سوء الأخلاق تلك التي يترتب عليها ضرر للفرد والمجتمع.

المحور الثالث– الأبعاد الأخلاقية وعلاقتها بتدعيم الحوكمة الجيدة:

الواضح من العرض السابق عن الحوكمة الجيدة (المحور الأول) وعن الأخلاق الحميدة وأبعادها (المحور الثاني)، أن مضمون القضية العامة المثارة هي قضية " الإنسان والمال " وما العلاقة السليمة بينهما، في مجال الاقتصادي بصفة عامة، وحوكمة الشركات بصفة خاصة، من حيث كون الإنسان فاعل والمال مفعول به في اكتسابه وتملكه وتنميته والتصرف فيه– من جهة – وأن المال فاعل والإنسان مفعول به – من جهة أخرى – من حيث قوة غريزة حب الإنسان للمال ووسيلته للعيش وزينة الحياة الدنيا.

إذن، ما العلاقة التبادلية بين الإنسان والمال؟ وما هي أوجه التقابل بين الحوكمة الجيدة التي تهدف إلى إدارة المال برشد وشفافية، وبين الأخلاق الحميدة التي تمثل الحكمة والضمير فيمن يدير هذا المال؟ ثم كيف نرفع من المستوى الخلقي ونهذب الأخلاق إلى مرحلة الاعتدال الوسط بين الإفراط والتفريط؟

خلال هذا المحور، سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال التطرق إلى ما يأتي:

أولا– العلاقة التبادلية بين الإنسان والمال.

ثانيا– الأبعاد الأخلاقية وعلاقتها بتدعيم الحوكمة الجيدة.

ثالثا– طرق اكتساب وتهذيب الأخلاق.

أولا– العلاقة التبادلية بين الإنسان والمال:

خلق الله تعالى الإنسان ليجعله خليفة في الأرض، قال تعالى: " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً"(20) وقد كرم الله تعالى الإنسان وكلفه بتعمير الأرض وفضله على كثير من خلقه، قال تعالى: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً " (21). وبالنظر إلى أهمية المال للإنسان بصفة خاصة ولتعمير الأرض بصفة عامة استخلف الله تعالى الإنسان في المال أيضا، قال تعالى: "وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ"(22).

ومناط استخلاف الإنسان في المال، إبعاد هذا المال عن الباطل سواء في اكتسابه وتملكه أم في تنميته وإنفاقه، بحيث يظل المال بكافة صوره وأوضاعه في إطار الشرع، قال تعالى: " وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ " (23) ولأن المال هو عصب الحياة الدنيا، فإن الإنسان يحب المال ليس حبا بسيطا ولكن حبا جما– أي الحب الكثير مع الحرص والشره في جمعه – قال تعالى: " وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا "(24).

فالمال هنا هو الفاعل والإنسان هو المفعول به بالنظر إلى غرائزه في حب الحياة الدنيا وحب المال الذي هو عصب تلك الحياة.

لذلك حدد الإسلام تلك الصلة بين الإنسان والمال تحديدا دقيقا، فأعطى الإنسان الحق في اكتساب المال بالطرق المشروعة وهي جميع الطرق التي لا تخرج عن دائرة الحلال، دون أن تدفعه غرائزه إلى كسب المال وتملكه وتنميته وإنفاقه خارج تلك الدائرة، كالربا والغضب والباطل والظلم والغش والزور والسرقة والتطفيف في الكيل والميزان.

وقد خلق الله تعالى الإنسان، خبير بفطرته بما ينفعه أو يضره، وقدرته على فعل الخير والشر، قال تعالى: " بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ "(25)، لذلك فالإسلام جعل سعادة الإنسان أو شقاؤه منوطين بالتكليف الذي قوامه الحرية في تحمل المسؤولية عن كافة أعماله.

لذلك فإن صلة الإنسان بالمال وحبه الشديد له، وتكالبه على جمعه وتملكه، ظلت وسوف تظل من أهم العوامل الموجهة للسلوك الإنساني أفرادا وجماعات، وليس أدل على ذلك، من أن النظم الاقتصادية التي وضعها الإنسان قديما وحديثا كالرأسمالية والاشتراكية وغيرها، مهما اختلفت أسماؤها، إنما تعالج في الحقيقة قضية الصلة المتبادلة بين الإنسان والمال وتحاول تنظيم تلك العلاقة.

هذا "الضمير" الذي تحدث عنه المسلمون وغير المسلمين، بالنظر إلى أهميته في العلاقات الإنسانية عامة والمعاملات البشرية خاصة.

فقضية الضمير عند الإمام " محمود شتلوت " مفادها " إصلاح الظاهر نتيجة لإصلاح الباطن "(26)، والضمير عند

"ستيفن.ر.كوفي" هو بؤرة الدين، حيث القيم ومكارم الأخلاق، والجوانب المتعلقة بالهدف من الحياة، والحلال والحرام" ويقول أيضا: " إن وجود الضمير من أهم المبادئ المؤكدة في مجال الدين، وعلم النفس والاجتماع والفلسفة عبر التاريخ، حيث نجد صوت الضمير في أدب الحكمة، وفي الضمير الاجتماعي في علم النفس، ففي كل تلك المجالات نجد هذه الملكة تعالج دائما كجزء أساسي في الطبيعة البشرية " ويضيف ستيفن: " لا يكفي أن تنصت إلى ضميرك، ولكن يجب الاستجابة له، وعندما يضيع الانسجام بين سلوكنا وبين هذا الصوت، نبدأ بإقامة حاجز حول هذا الضمير بشكل يغلق كل حساسيتنا وإدراكنا لما يأتي به، إن عدم سماع صوت الضمير – هذا يقول – يصيب ذلك الضمير بالعمى "(27).

والمرجح أن غياب الضمير كجوهر للأخلاق، وما ترتب على ذلك من تزوير واختلاس وتلاعب في الحسابات والماليات، كان من أهم الأسباب وراء الكارثة المالية التي أصابت جنوب شرق آسيا (١٩٩٧م) وانهيار شركات كبرى وخروجها من السوق الاقتصادي.

فالواقع أن " الضمير " هو الذي يشكل الرقابة المالية الداخلية في الإنسان، التي من دونها تضمحل كافة صور وأساليب الرقابة المالية الداخلية والخارجية وتقل فعاليتها، تلك الرقابة الذاتية شكلت ظاهرة لدى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ومنهم أبو بكر الصديق – رضي الله عنه –، الذي كان شديدا في مراقبة نفسه – وأهله – إلى الدرجة التي قال لأجلها عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –. "رحم الله أبا بكر فقد اتعب من جاء بعده"(28).

ثانيا– الأبعاد الأخلاقية وعلاقتها بتدعيم الحوكمة الجيدة:

تعددت ميادين الحوكمة، سواء على مستوى الشركات أم على مستوى الاقتصاد المحلي والعالمي، منها الميادين: الإدارية، القانونية، المحاسبية، الاقتصادية، والمالية، ولكل من تلك الميادين أبعادها وعناصرها تلك التي تسمو بالأداء إلى مرحلة الجودة، والتخصيص الأمثل للموارد الاقتصادية والبشرية، بحيث يشكل مفهوم الحوكمة – الذي يسهل وصفه ويصعب تعريفه – منهجا للعمل الإداري والاقتصادي والمالي يساعد على تحديد الأهداف وسبل تحقيقها والرقابة عليها ويضمن استمرارية مستدامة بأسلوب علمي يقام " أزمة الإدارة " ويفعل أسلوب " إدارة الأزمة " في ظل تخطيط استراتيجي بعيدا عن التخبط والعشوائية – كما سبق ذكره – وما نتج عن تلك العشوائية من اضطرابات اقتصادية ومالية سواء على مستوى الشركات أم على مستوى الدول.

فإذا كانت الحوكمة هي مجموعة القوانين والنظم والقرارات التي تهدف إلى تحقيق الجودة والتميز في الأداء عن طريق اختيار الأساليب المناسبة والفعالة لتحقيق أهداف الشركات والاقتصاديات الوطنية، فالأمر إذن يعني وجود نظم تحكم تلك العلاقات بين الأطراف الأساسية التي تؤثر في الأداء، كما تشمل مقومات تقوية المؤسسات على المدى البعيد وتحديد المسؤولية، مع شمول تلك النظم على آليات قوية تدعم متطلبات الإدارة والقيادة، والتدبير والضبط، فضلا عن الإفصاح والشفافية في اتجاه تدعيم الثقة بين أصحاب المصالح.

فلا جدال والأمر كذلك، من أن تحقيق سياسة ونظم حوكمة الجيدة في كافة ميادينها وعناصرها في أي شركة أو مجتمع، إنما هو رهن كفاءة الإدارة المنفذة والمشرعة لتلك السياسات والنظم ومستويات الأخلاق للقوى البشرية والإدارية.

ذلك أن القائمين بالتنفيذ من منطلق أخلاقهم الحميدة، يمكن لهم أن ينفذوا تلك السياسات والنظم بدرجة عالية من الإفصاح والشفافية، بل ويعالجون خلال التطبيق ما قد يعتريها من غموض أو قصور، حيث من دون سياج الأخلاقي الجيد، قد تحول أفضل السياسات والنظم إلى أسوئها وبالآتي يصعب تحقيق الأهداف المرغوب فيها.

فالواضح أن من أهم أسباب الانهيارات الاقتصادية والمالية في الدول والشركات – خلال العقدين الأخيرين– إنما ترجع إلى ضعف العمل بشكل مؤسسي وضعف النظم القانونية والرقابة المالية، وتلك أمور ساعدت على تزوير الحسابات والتلاعب في الأرباح والميزانيات، وتلك الأمور تتنافى مع أبعاد الأخلاق الحميدة، سواء بالنسبة لسن القوانين والنظم واللوائح أم تنفيذها. ويقول الله تعالى: " وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا "(29).

فإذا كانت الحوكمة الجيدة – في أهم جوانبها – تهدف إلى مقاومة أشكال الفساد المالي والإداري، فإن الأخلاق الحميدة، هي الإطار الأكثر مناسبة لتدعيم هذا الهدف، فالأخلاق الحميدة – من وجهة نظر الأديان جميعا – هي الجانب التطبيقي للإنسان في سائر أعماله ومعاملاته وعلاقاته بالناس.

ذلك أن من أهم خصائص الأخلاق الحميدة، مقاومة الفواحش ما ظهر منها وما بطن مثل: الكذب، الخيانة، التزوير، الحقد، الحسد، النفاق، المكر، الظلم، الخداع، الاحتكار، الحرام، الباطل، الكسب غير المشروع، وغير ذلك من ضروب الأخلاق السيئة.

كما تدعو الأخلاق الحميدة، إلى الاعتدال والوسط والصدق وإتقان العمل وغير ذلك من جواب الأخلاق الحميدة.

حينئذ، يكون باطن الإنسان شفافا يحاكي ظاهره، من أفعال أو أقوال، الأمر الذي يدعم تنفيذ متطلبات الحوكمة الجيدة بدرجة عالية من الإفصاح والشفافية والإدارة الرشيدة للاقتصاديات الوطنية بصفة عامة والشركات بصفة خاصة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل الأخلاق قابلة للتغيير، والوصول بها إلى مرحلة الاعتدال بين الإفراط والتفريط؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما هي وسائل وطرق اكتساب الأخلاق وتهذيبها؟ وهذا سوف نعالجه في العنصر الآتي.

ثالثا– طرق اكتساب وتهذيب الأخلاق:

"يدرس علم الأخلاق: الظواهر السلوكية الموجودة في المجتمع من العادات الأخلاقية: التي تمثل اعتقادات الناس بصدد الصواب والخطأ والخير والشر والعقوبة والإثابة بالإضافة إلى الأفعال التي تكمل أو تتبع هذه الاعتقادات، لهذا نجد علم الأخلاق يختص بإطلاق الأحكام القيمية على السلوك الإنساني، ولا يقتصر على وصف السلوك فحسب كعلم النفس، فالأخير وصفي بينما علم الأخلاق معياري " (30).

فالأخلاق: مكتسبة إذن من حيث كونها معيارية، فكل مولود يولد على الفطرة، قابلا للخير والشر ومن خلال التربية في المنزل والمدرسة البيئة المحيطة به يميل إلى أحد الجانبين...وبذلك يمكن غرس مبادئ الأخلاق الحميدة في الصغر ابتداء، وصقلها وتهذيبها في الكبر والميل بها إلى حد الاعتدال وفعل الخير والبعد بها عن مضامين الأخلاق السيئة كالخيانة والكذب فالأخلاق قابلة للغرس في الصغر والتغيير والتعديل في الكبر، وإلا بطلت الوصايا والمواعظ في هذا الشأن ولما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: " حسنوا أخلاقكم " (31).

فالطفل أمانة عند والديه ومعلميه، وباطنه خالٍ من كل نقش أو صور، وبالآتي؛ فهو قابل لكل ما يتعود عليه، فإن تعود على صور الأخلاق الحميدة، نشأ عليها واعتنقها ودافع عنها – والعكس صحيح –.

وقد قسم " الإمام الغزالي " الكبار من الناس الذين فاتتهم فرصة تأديبهم أخلاقيا في الصغر إلى أربعة مراتب (32) الجاهل– جاهل وضال– جاهل وضال وفاسق– جاهل وضال وفاسق وشرير:

١. الجاهل: هو الإنسان المغفل الذي لا يميز بين الحق والباطل، أو الخير والشر، بل يحيا كما فطر عليه خاليا من جميع الاعتقادات، فهذا سريع القبول للعلاج الخلقي.
٢. الجاهل الضال: هو الإنسان الذي يكون قد عرف الشر، ولم يتعود العمل الصالح، وهذا قابل للعلاج الخلقي، وإن تطلب ذلك مضاعفة الجهد من معلميه، لإذابة ما رسخ في نفسه من كثرة الاعتياد على الفساد أولا، ثم غرسه صفة الاعتياد على الصلاح وحب الخير.
٣. الجاهل الضال الفاسق: وهو الإنسان الذي يعتقد في الأخلاق السيئة أنها الواجبة، وأنها حق وتربى عليها، وبالآتي تضاعفت عنده أسباب الضلال، وبالآتي فصلاحه في حاجة إلى جهد جهيد وإن كان ليس مستحيلا.
٤. الجاهل الضال الفاسق الشرير: هو الإنسان الذي نشأ وتربى على الرأي الفاسد، ويرى الفضيلة في كثرة الشر ويظن أن ذلك يرفع قدره، وهذا أصعب المراتب في إرجاعه إلى محيط الأخلاق، ومن الممكن لمثل

هذا أن يرجع إلى صوابه الخلقي، متى رأى المثل والقدوة في مجال الأخلاق الفاضلة الأمر الذي قد يشكل باعث في نفسه يحمله على مجاهدتها فيحسن خلقه.

إن مثل هؤلاء الناس، على مراتبهم السابقة، لابد أن يكونوا منتشرين في مواقع الأعمال الاقتصادية وغيرها، سواء في مجالات التقرير والتشريع أم وضع السياسات والنظم، أم التنفيذ والإدارة، بحيث يمكن أن تنعكس أخلاقهم على أعمالهم، وخاصة من أرباب المرتبتين الثالثة والرابعة، وما يترتب على ذلك من تسيب وتلاعب في البيانات والميزانيات، وانهيار الشركات والمؤسسات.

خلاصة:

إذا كانت الحوكمة الجيدة – من وجهة نظر علماء الاقتصاد المالي – تهدف إلى مقاومة أشكال الفساد المالي والإداري... فإن الأخلاق الحميدة، هي الإطار الأكثر مناسبة لتدعيم هذا الهدف، فالأخلاق الحميدة – من وجهة نظر جميع الأديان السماوية المعروفة – هي الجانب التطبيقي للإنسان في سائر أعماله ومعاملاته وعلاقته بالناس.

وبصفة عامة، العالم اليوم كله يعاني من أزمة ضمير وأخلاق لا أزمة موارد.

هوامش البحث:

1 WWW.ALWAFD.Org
2 WWW.UabNLine.Org
4 WWW.ALWAFD.Org
5 WWW.Usinfo.State.gov/Journal/oman.htm
6 State Building: Governance and World Order in 21 St Century (2004)

٧– سورة الشورى – آية ١٣.

٨–سورة المائدة – آية ٤٨.

٩– الإمام محمود شلتوت: " الإسلام عقيدة وشريعة "، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧، ط ١، ص ١٠.

١٠– د. محمد ممدوح العربي " الأخلاق والسياسة"، الهيئة القومية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٢، ص ٢٠.

١١– الإمام الغزالي " إحياء علوم الدين "، دار الحرم للتراث، مصر ١٩٩٦، ص ٧٧.

١٢– د. عبد المنعم حسين: " الإنسان والمال في الإسلام"، دار الطباعة والنشر بالمنصورة، ١٩٨٦، ص ٢٤.

١٣– د. عبد الستار فتح الله سعيد: " المعاملات في الإسلام"، سلسلة دعوة الحق، الرياض، السنة الثانية العدد ٢٠، سنة ١٩٨٢،ص ١٥

١٤– الإمام محمود شلتوات: " الإسلام عقيدة وشريعة " مرجع سابق، ص ص (٤٦٢–٣٦٣).

١٥– سورة القلم – آية ٤.

١٦– رواه الإمام مالك – الموطأ، ص ٥٦٤ رقم ٨.

١٧– ورد بلفظه في إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٣، ص ٧٣.

١٨– سورة البقرة – آية ٢٦٩.

١٩– ورد بلفظه في الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص ٤٦٤.

٢٠– سورة الأعراف – آية ٣٣.

٢١– سورة البقرة – آية ٣٠.

٢٢– سورة البقرة – آية ١٨٨ .
٢٣– سورة الفجر – آية ٢٠ .
٢٤– سورة القيامة – آية ١٤ .
٢٥– الإمام محمود شلتوت : " الإسلام عقيدة وشريعة " مرجع سابق، ص ٤٦٥ .
٢٦– ستيفن.ر.كوفي : " إدارة الأولويات " ترجمة د.السيد المتولي حسن، مطبعة جرير، من دون سنة نشر، ص ١٥٩ .
٢٧– ابن الأثير : " الكامل في التاريخ "، ج ٢، ص ٤٢٣ .
٢٨– سورة النساء – آية ٥ .
٢٩– جون هوسبرس : " السلوك الإنساني : مقدمة في مشكلات علم الأخلاق"، ترجمة وتعليق د. علي عبد العاطي محمد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٤، ص ص (٤١–٤٢) .

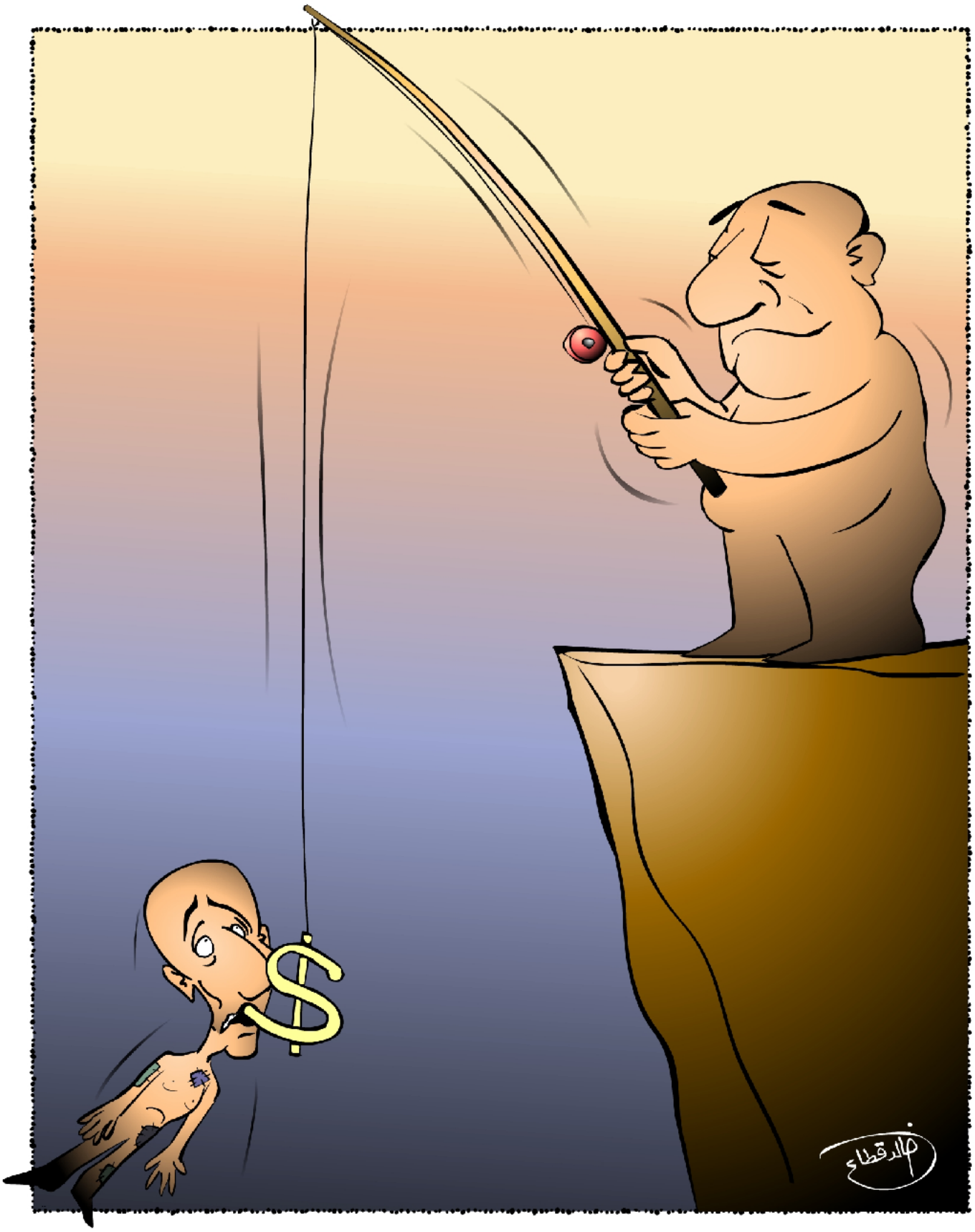
$
فراس القطاع

أثر القواعد الفقهية في تأصيل التصرفات الطبية

د. عمار عاطف الضلاعين
جامعة البلقاء التطبيقية

د. محمد أمين المناسية
وزارة التربية والتعليم

الحلقة (٢)

المطلب الرابع : قاعدة : المشقة تجلب التيسير(١)

أولا : المعنى الإجمالي : هذه القواعد من قواعد دفع الحرج في الشريعة، وهي إحدى القواعد الخمس الكبرى، ولها علاقة قوية بتصرفات الطبيب .

وهي تدل أنه إذا وقع المكلف في حرج ومشقة خارجة عن المعتاد، فإن الشريعة تخفف الحكم له بما يرفع عنه تلك المشقة .

يندرج تحتها عدة قواعد وهي كما يأتي :

- **القاعدة الأولى : إذا ضاق الأمر اتسع**(٢)

أولا : المعنى الإجمالي : تدل هذه القاعدة على أن الإنسان إذا وقع في ضيق ومشقة، فإن الشارع يوسع عليه ويخفف عنه الحكم الشرعي بما يدفع عنه ذلك الحرج وتلك المشقة .

ثانيا : علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب : تقع الضائقة كثيرا للمرضى، ولذا نجد أن الشارع يوسع عليهم في أحكام متعددة، وقد ينال الطبيب بعض المشاق بسبب متابعته لمرضاه؛ فيحتاج أيضا إلى شيء من التخفيف بما لا يتنافى مع مقاصد الشارع، ولذا فالقاعدة لها صلة قوية بتصرفات الطبيب .

ثالثا : فروع تطبيقية على القاعدة :

- يباح للطبيب أن ينظر للعورة والمرأة الأجنبية من أجل العلاج(٣) .

---

(١) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج3، ص169, السبكي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص48, **والقواعد للحصني**، مرجع سابق، ج1، ص308 السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص160، ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص81.

(٢) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج1، ص120, السبكي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص48, السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص172, ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص85.

(٣) انظر: ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص81. الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص52-54.

- يجوز للطبيب أن يجمع بين صلاتي الظهر والعصر، وكذا المغرب والعشاء إذا كان مشغولا بمتابعة مرضاه[١]. قلت: وهذا مع تعسر حالة المريض بحيث لا يستطيع الطبيب تركه، أو أن لا يجد الطبيب طبيبا آخر ينوب عنه، أو يأخذ مكانه.
- يحق للطبيب منع المريض من أداء العبادات لما فيها من ضرر عليه[٢]. قلت: يحق للطبيب منع المريض من أداء العبادات إن كان الأداء يزيد من مرضه، أو لا يساعده على الشفاء.

- **القاعدة الثانية: إذا تعذر الأصل يصار إلى البدل[٣]**

أولا: المعنى الإجمالي: تدل هذه القاعدة على أن الحكم الشرعي إذا تعذر وكان له بدل ممكن، فإنه يصار إلى ذلك البدل.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: تدل هذه القاعدة أنه عند تعذر الحكم الشرعي الذي له بدل ممكن، فإنه يصار إلى بدله، وهذه الحالة تقع كثيرا للمرضى، وكذا لا يخلو منها الأطباء، ولذا فالقاعدة واضحة التعلق بتصرفات الطبيب.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- إذا تعذر فعل كل صلاة مما يجمع بينهما في وقتها بسبب المرض، أو انشغال الطبيب بمرضاه على وجه لا يستطيع معه الصلاة في الوقت انتقلا إلى بدل ذلك، وهو الجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما[٤]. قلت: وهذا مع تعسر حالة المريض بحيث لا يستطيع الطبيب تركه، أو أن لا يجد الطبيب طبيبا آخر ينوب عنه، أو يأخذ مكانه.
- يحق للطبيب تأخير رمي الجمار في أحد أيام الرمي للذي بعده[٥].

---

(١) انظر: السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص88.
(٢) انظر: المقرن، محمد بن سعد, (1429هـ/2008م). **بحث المشقة بين الطب والشرع**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض، ص40-42، الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص:85،88.
(٣) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج1، ص178, ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين الدمشقي، (2004م). **تقرير القواعد**، (تحقيق: إياد بن عبد اللطيف القيسي)، ط1، بيت الأفكار الدولية، ج3، ص73.
(٤) انظر: ابن قدامة، **الكافي**، المكتب الإسلامي /بيروت، ج1، ص204, ج1، ص278, السعيدان، **الإفادة في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص88.
(٥) انظر: الجهني، أحمد بن محمد بن عايد الرفاعي, (1429هـ/2008م). **بحث تطبيقات قاعدتي (لا ضرر ولا ضرار) و(المشقة تجلب التيسير) في الأحكام الطبية**, د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض، ص52-53.

- **القاعدة الثالثة: الميسور لا يسقط بالمعسور[١]**

أولا: المعنى الإجمالي: تفيد هذه القاعدة أن المتيسر من الحكم الشرعي لا يسقط بما تعسر منه، بل يجب على المكلف أن يأتي بالمتيسر، ويدع المتعسر.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: لا شك أن المرض سبب قوي من الأسباب التي تتعسر معها بعض الأحكام على وجه التمام، لكن يمكن الفعل على وجه مقبول شرعا في تلك الحالة فيتعين ذلك الوجه.

وقد يشارك الطبيب مريضه في بعض الفروع الفقهية، ولذا فالقاعدة واضحة التعلق بتصرفات الطبيب.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- إذا تعسر على الطبيب معالجة مريضه إلا بتدخل جراحي تعين ذلك؛ لأنه ميسور، فلا يسقط العلاج مطلقا[٢].
- إذا لم يتيسر عند الطبيب دواء ناجحا لمرض مراجعه، لكنه وجد دواء يخفف بإذن الله من ذلك المرض تعين عليه صرفه[٣].

- **القاعدة الرابعة: الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة[٤]**

أولا: المعنى الإجمالي: فالحاجة ما يؤدي فقدها إلى وقوع الإنسان في الحرج والمشقة.

وهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الضرورة، وقد عرفنا أن فقد الضروري يؤدي إلى هلاك الإنسان، أو تلف عضو من أعضائه.

فمعنى القاعدة: أن كل شيء يوقع الإنسان في الحرج والمشقة غير المعتادة، فإن الشارع يراعي حكمه كالضرورة في استباحة بعض المحرمات.

وينبغي له أن يعلم أن الحاجة لا توازي الضرورة في إباحة المحرمات؛ لأنها أدنى درجة منها، لكن يباح بسببها المحرم لغيره.

---

(١) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج3، ص198, السبكي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص155, السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص293, عبد الهادي الأهدل، الأقمار المضيئة،، مصدر سابق ص236.
(٢) المطرودي، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص47.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص47.
(٤) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج1، ص24, ابن الملقن، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج2، ص346, السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، 179, ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص93.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: تعد الحاجة ظاهرة في كثير من المسائل الطبية وخاصة في هذا الزمن، ولذا فأثرها في ذلك واضح.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- جواز العمليات الحاجية والتي لا تصل إلى مرتبة الضرورة كإزالة التشوهات التي حصلت بسبب حريق مثلا أو حوادث سيارات ونحو ذلك، أو كإزالة إصبع زائدة، أو يد زائدة، أو سن زائدة تضر بالفم(١).
- جواز وصف الطبيب الحرير للتداوي من الجرب والحكة(٢).
- أنه يجوز النظر للعلاج عندما تدعو الحاجة إلى ذلك(٣).
- جواز استعمال المخدر إن دعت الحاجة إلى ذلك(٤).
- يجوز للطبيب اجراء العمليات دون مراعاة إذن المريض حفاظا على نفسه؛ حال وجود العمليات الخطيرة والعاجلة، أو عند انعدام أهلية المريض لصغر أو إغماء أو غياب ولي(٥).

- **القاعدة الخامسة: ما جاز لعذر بطل بزواله(٦)**

أولا: المعنى الإجمالي: هذه القاعدة لها تعلق بقاعدتي الضرر والمشقة؛ وذلك لأن العذر يحصل منهما معا، فمتى زال ذلك العذر عاد الحكم الشرعي إلى أصله في الحالات الطبيعية.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: يكثر في المسائل الطبية وجود الأعذار الشرعية التي يتبعها التخفيف في الحكم المكلف به، ولذا فإنه عند زوال تلك الأعذار تعود الأحكام لما كانت عليه قبل العذر، ولذا فالقاعدة واضحة التعلق بتصرفات الطبيب.

---

(١) انظر: السعيدان، **القواعد الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص46.
(٢) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص25، الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص:79.
(٣) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص25. الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص52-54.
(٤) انظر: الحصين، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على مسائل التخدير المعاصرة**، مرجع سابق، ص42، الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص:81.
(٥) انظر: المقرن، محمد بن سعد, **بحث المشقة بين الطب والشرع**، مرجع سابق، ص32-35، الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص:102.
(٦) انظر: السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص176, ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص88, الأهدل، **الإقمار المضيئة**، مصدر سابق، ص121, أحمد الزرقا، **شرح القواعد**، مرجع سابق، ص189.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة: جميع الفروع التي خرج فيها الحكم الشرعي عن وضعه الأصلي فيما سبق من القواعد يصلح عرضه هنا، وذلك مع تصور انعدام العذر فمثلا في القاعدة السابقة جاز لبس الحرير من أجل التداوي من الجرب والحكة، فإذا زال هذا المرض عاد تحريم لبس الحرير كما كان.

وجاز النظر لحاجة العلاج، فإذا زال المرض حرم النظر... وهكذا.

- **القاعدة السادسة: الضرورات تقدر بقدرها[١]**

أولا: المعنى الإجمالي: هذه القاعدة قيد لسابقتها، فإن الضرورة في الشرع وإن أبيح المحظور من أجلها إلا أن ذلك ليس على إطلاقة، بل هو مقيد بما تندفع به الضرورة، فإذا كانت الضرورة مثلا تندفع بواحد من عشرة لم تجز الزيادة على ذلك الواحد، بل تتقيد الإباحة به، ويبقى ما عداه على التحريم.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: هذه القاعدة قيد للقاعدة السابقة التي اتضح أن لها علاقة بتصرفات الطبيب، ولا شك أن المقيد تابع لما هو قيد فيه، إذ المطلق لا يعمل به دون قيده إذا وجد.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- الفروع في القاعدة السابقة يمكن عرضها هنا بحيث تكون مقيدة بما دلت عليه هذه القاعدة.
- الطبيب لا يجوز له أن ينظر من العورة زيادة على مقدار الموضع الذي يتم علاجه[٢].
- شق بطن الحامل يكون بالمقدار الكافي دون زيادة[٣].
- واستعمال المخدر كذلك يكون بالحد الكافي[٤].
- وكذا كشف الطبيب على المرأة عند الضرورة، إنما يكون للموضع الذي يعالج فقط[٥].
- الجبيرة يجب أن لا تستر من الصحيح إلا بقدر ما لا بد منه[٦].
- المرأة إذا فصدها أجنبي عند فقد امرأة، أو محرم لا يجوز لها كشف جميع ساعدها، بل عليها أن تلف على

---

[١] انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص320, السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص174, ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص87.

[٢] انظر: ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص87.

[٣] انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي، (1417هـ). **تحفة الملوك**، (تحقيق: عبدالله نذير أحمد)، ط1، دار البشائر الإسلامية/ بيروت، ص239.

[٤] انظر: الحصين، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على مسائل التخدير المعاصرة**، مرجع سابق، ص43. السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص221, 244.

[٥] انظر: السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص7-8.

[٦] انظر: ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص87.

يدها ثوبا، ولا تكشف إلا القدر الذي لا بد كشفه للفصد[١].

- البت في نوعية علاج المريض، فإن كان ذلك سيزيد مرضه، أو يحدث له مرضا مماثلا لم يجز علاجه بذلك، وإن كان يظهر – بإذن الله – أنه سيزيل مرضه، أو يخففه جاز[٢].

- **القاعدة السابعة: الضرورات تبيح المحظورات[٣]**

أولا: المعنى الإجمالي: الضرورات هي: كل ما يؤدي فقده إلى تلف الإنسان أو عضو من أعضائه.

فالضرورات بمعناها السابق تبيح تناول المحظورات أي المحرمات في الشرع.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: تتضح علاقة هذه القاعدة بجلاء مع المرضى؛ لأن المرض قد يضطر صاحبه إلى فعل محرم في الأصل، كما أن علاقة الطبيب مع مريضه تحيجه أحيانا إلى تصرفات غير مشروعة في أصلها، لكن الضرورة أباحت ارتكابها في تلك الحال.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- كشف الطبيب على العورة عند الضرورة جائز، مع أن ذلك محرم في الأصل[٤]
- يجوز للطبيب مباشرة علاج المريض – إن كانت حالته لا تستلزم التأخير – دون استئذان[٥].
- شق بطن المرأة الحامل يجوز عند الضرورة وتعسر الولادة[٦].
- استعمال المخدر في العمليات جائز للضرورة[٧].
- كشف الطبيب على المرأة يجوز للضرورة[٨].
- خلوة الطبيب بالمريضة إذا اقتضت الضرورة جائز[٩].

---

(١) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص321.
(٢) انظر: الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص63-65.
(٣) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص317, **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، لابن السبكي، ج1، ص49, السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، 173, ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص87.
(٤) انظر: الغزالي، (1417هـ). **الوسيط**، (تحقيق: أحمد محمود ابراهيم ومحمد محمد تامر)، ط1، دار السلام / القاهرة، ج5، ص37, ابن قدامة المقدسي، **المغني**، مصدر سابق، ج8، ص184.
(٥) الجبير، هاني بن عبد الله بن محمد، **الإذن في إجراء العمليات الطبية أحكامه وأثره**، مرجع سابق، ص86.
(٦) انظر: الرازي، **تحفة الملوك**، (تحقيق: عبدالله نذير أحمد)، مصدر سابق، ص239.
(٧) انظر: الحصين، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على مسائل التخدير المعاصرة**، مرجع سابق، ص39. السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص221, 244.
(٨) انظر: الردادي، **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، مرجع سابق، ص52-54. السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص7-8.
(٩) انظر: المرجع السابق، ص54-55.

- **القاعدة الثامنة: التصرف على الرعية منوط بالمصلحة[١]**

أولا: المعنى الإجمالي: تدل هذه القاعدة على أن الراعي أيا كان يجب عليه أن يتصرف في رعيته بما يعود عليهم بالنفع والفائدة؛ حتى لا يشق عليهم ويلحق بهم الضرر.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: هذه القاعدة لها علاقة بتصرفات الطبيب من جهة الإمام العام، فيجب أن تكون تصرفاته المتعلقة بالطب تعود على رعيته بالمصلحة، كما أن لها علاقة بذلك من جهة الطبيب نفسه حيث إنه يعد راعيا عن مرضاه، ولذا يجب أن تكون تصرفاته محققة لمصلحتهم.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- يحرم على الطبيب أن يقرر للمريض عملية لا تظهر حاجته إليها[٢].
- يحرم على الطبيب أن يصرف للمريض أدوية ليس بحاجتها، وأشد من ذلك لو كان فيها ضرر عليه[٣].
- يجب على الطبيب أن ينصح لمريضه، ويبين له كل ما يتوقف عليه علاجه[٤]
- يحق للطبيب منع المريض من أداء الواجبات الشرعية لما فيها من ضرر عليه[٥]. قلت: يحق للطبيب منع المريض من أداء العبادات إن كان الأداء يزيد من مرضه، أو لا يساعده على الشفاء.

المطلب الخامس: قاعدة: العادة محكمة[٦]

أولا: المعنى الإجمالي: هذه القاعدة تدل على أن العادة والعرف يحكم بهما فيما لا نص فيه، ولا شك أن هذه القاعدة لها صلة ببعض المسائل الطبية، وإن لم تكن بسعة ما قبلها كما سيتضح من قواعدها المندرجة.

ويندرج تحتها عدة قواعد وهي كما يأتي:

- **القاعدة الأولى: المعروف عرفا كالمشروط شرطا[٧]**

---

(١) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج1، ص309، السبكي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص310، السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص233، ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص123، الأهدل، **الأقمار المضيئة**، مصدر سابق، ص168.

(٢) انظر: السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص6، ص244.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص247.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص247.

(٥) انظر: المقرن، **بحث المشقة بين الطب والشرع**، مرجع سابق، ص40-42.

(٦) انظر: العز، **قواعد الأحكام**، 564, السبكي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص50، **والقواعد للمقري**، مصدر سابق، ج1، ص345، الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص356، **والقواعد للحصني**، مرجع سابق، ج1، ص357، السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص182، ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص93.

(٧) انظر: السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، 192، ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق, ج1، ص99.

أولا: المعنى الإجمالي: تدل هذه القاعدة على أن ما تعارف عليه الناس، فإنه يكون بمثابة المشروط بينهم من حيث الالتزام به، ووجوب إعماله وتحكيمه.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: تظهر علاقة القاعدة بتصرفات الطبيب عند وجود التنازع والخلاف بين الطبيب والمريض، فإنه يرجع في فصل النزاع عند عدم البينة إلى ما جرى به العرف.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- إذا اختلف الطبيب والمريض في مقدار أجرة الكشف أو العملية ولا بينة رُجع إلى ما تعارف عليه الأطباء في مثل هذه الحالة(١).
- إذا تنازع الطبيب والمريض في دخول الأدوية أو الأدوات المستخدمة ضمن قيمة العلاج ولا بينة رُجع إلى ما تعارف عليه الأطباء في مثل هذه الحالة(٢).
- يلزم الطبيب عند حضور المريض إليه أن يجري له الفحوص المعتادة من دون تفريط في شيء منها كحرارة المريض، وضغطه ونحو ذلك؛ لتعارف الأطباء على ذلك(٣).

- **القاعدة الثانية: إنما تُعد العادة إذا اطردت أو غلبت(٤)**

أولا: المعنى الإجمالي: هذه القاعدة قيد في العادة المحكمة حيث يشترط فيها أن تكون مطردة بين الناس في جميع معاملاتهم، أو في أغلبها، أما إذا كان العمل بها مماثلا لتركها، أو كان تركها أكثر لم يلزم تحكيمها.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: بما أن العادة محكمة في الطب وغيره فهذه القاعدة قيد للعمل بها في كل مجالاتها، ومن ذلك المجال الطبي.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- إذا زار المريض طبيبا خاصا وبعد الكشف عليه أجرى له الطبيب بعض التحاليل ثم ادَّعى المريض بأن قيمة التحاليل تشملها أجرة الكشف، وأنكر الطبيب ذلك رجع إلى العادة المطردة أو الغالبة في ذلك، فإن لم يوجد في ذلك عادة مطردة ولا غالبة أُخذ بقول المريض؛ لأنه غارم والأصل براءة ذمته من الزيادة(٥).

---

(١) المطرودي، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص56.
(٢) انظر: المرجع السابق، ص56.
(٣) انظر: المرجع السابق، ص56.
(٤) انظر: الزركشي، **المنثور في القواعد**، مصدر سابق، ج2، ص361، السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، 185، ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**, ج1، ص95، أحمد الزرقا، **شرح القواعد**، مرجع سابق، ص233.
(٥) المطرودي، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص57.

- إذا كشف المريض عند طبيب استشاري، ثم اختلفا في قيمة الكشف رُجع إلى العادة المطردة، أو الغالبة في ذلك. فإن لم يوجد في ذلك عادة مطردة ولا غالبة أُخذ بقول المريض؛ لأنه غارم والأصل براءة ذمته من الزيادة[١].
- يجوز للصيدلي صرف الأدوية التي جرت العادة الغالبة أن تصرف بلا وصفة طبية كالبنادول ونحوه[٢]

- **القاعدة الثالثة: الكتاب كالخطاب[٣]**

أولا: المعنى الإجمالي:

تدل هذه القاعدة على أن الكتابة يجري عليها ما يجري على الألفاظ من حيث العمل بها وتحكيمها لجريان العرف والعادة بذلك.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب:

الطب يعتمد على الكتابة في كثير من قضاياه كالتقارير والوصفات ونحو ذلك.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- إذا كتب الطبيب للمريض وصفة محددة لزم التقيد بها من قبل المريض والصيدلي[٤].
- يجوز للطبيب أن يعتمد تقارير من قبله في مواصلة علاج الحالة المعروضة عليه، ولا حاجة لإجراء الفحوص من جديد عند ثقته بذلك[٥].

---

(١) انظر: المطرودي، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص57.
(٢) انظر: السعيدان، **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص239 – 240.
(٣) انظر: السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص507، ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق, ج2، ص333، أحمد الزرقا، **شرح القواعد**، مرجع سابق، ص349.
(٤) المطرودي، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية**، مرجع سابق، ص59.
(٥) انظر: المرجع السابق، ص59.

المطلب السادس: القواعد الكلية الفرعية

- القاعدة الأولى: **لا عبرة للدلالة في مقابل التصريح**، أو إنما تُعدّ الدلالة إذا لم يوجد التصريح بخلافها[1]

أولا: المعنى الإجمالي: أي أن دلالة التصريح يقينية، ودلالة الحال والقرائن محل الشك، واليقين لا يزول بالشك، والتصريح أقوى من الدلالة، فإذا تعارض التصريح مع الدلالة فلا عبرة بالدلالة مقابل التصريح؛ لأنها دونه في الإفادة وهو فوقها، فيقدم الأقوى.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: الطبيب يعتمد عند إجرائه أي عمل طبي على تصريح المريض وطلبه العلاج، فإن لم يصرح المريض بطلب العلاج اكتفى الطبيب بالدلالة على ذلك.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة: يستند الطبيب على دلالة مجيء المريض له مثلا على إذنه بالعلاج إلا إذا لم يصرح له بعدم إذنه له[2].

- **القاعدة الثانية: لا يقدم أحد في التزاحم على الحقوق إلا بمرجح[3].**

أولا: المعنى الإجمالي: إذا اجتمع أصحاب حقوق وضاقت عنهم، فإن تقديم بعضهم على بعض لا يكون إلا بسبب يرجح المقدم على غيره، ولا يجوز تقديم أحد منهم من دون مرجح.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: أن الطبيب لا يقدم أحدا من مرضاه إن ازدحموا وتعددوا إلا بمرجح.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة: يراعي الطبيب عند ازدحام المرضى وتعددهم المرجح في ذلك، كسبقه في الحضور أو خطورة حالته[4].

---

(1) انظر: البورنو، **الوجيز**، مرجع سابق، ج3، ص47.
(2) انظر: الجبير، **بحث القواعد والضوابط الفقهية المؤثرة في العمل الطبي**، مرجع سابق، ص:9.
(3) انظر: ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص:362.
(4) انظر: الجبير، **بحث القواعد والضوابط الفقهية المؤثرة في العمل الطبي**، مرجع سابق، ص:10.

- **القاعدة الثالثة: الجواز الشرعي ينافي الضمان[1]**

أولا: المعنى الإجمالي:

إذا كان الفعل مباحًا لفاعله شرعًا، أو صدر إذن من الشارع في فعل من الأفعال، وترتب على هذا الفعل ضرر، أو وقع به مفسدة، فلا ضمان على الفاعل.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب:

قد يصدر من الطبيب اجراءات طبية مبنية على موافقة المريض[2]، وعليه فما يحصل للمريض من ضرر، فلا يرتب ضمانا على الطبيب إن لم يتعدَّ في الجواز.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- لا يضمن الطبيب ما حدث للمريض من آثار علاجية مما لم يكن فيه سبب، ولم يتعد ولم يفرط[3] فالطبيب مأذون له شرعًا في ممارسة فعله، ومأذون له بما يجريه على هذا المريض عند حاجته لذلك، وهذا الإذن يمنع ترتب الضمان على فعله.
- يضمن الطبيب إذا زاد جرعة العلاج من دون معرفة مسبقة لحالة المريض وإمكانية تحمله لها.
- إذا رفض المريض إعطاء الإذن بعلاجه، مع أن حالته سيئة، وتستدعي التدخل الجراحي؛ فإن قلنا بأن العلاج واجب؛ فلا حاجة لاستئذان المريض، ولا ضمان على الطبيب فيما حصل للمريض لو لم تنجح العملية؛ لأنه مأذون من الشارع، وإن قلنا: إن التداوي والعلاج مباح وليس بواجب؛ لم يجز للطبيب التدخل، ولا ضمان عليه لو هلك المريض في هذه الحالة؛ لأن الشارع قد أذن له بعدم التدخل إلا بإذن المريض.

---

(1) انظر: ناظر زاده، **ترتيب اللآلي في سلك الأمالي**، مصدر سابق،ج1، ص609، أحمد الزرقا، **شرح القواعد الفقهية**، مرجع سابق، ص449.

(2) هذا يوافق قاعدة: لا يجوز لأحد أن يتصرف في حق غيره بغير إذنه. انظر: ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ج1، ص283، أحمد الزرقا، **شرح القواعد**، ص:461-462.

(3) هذا يوافق قاعدة: لا يتقيد عمل الطبيب بشرط السلامة ولا يطلب منه إلا القيام بالمعتاد من العناية، ولا يسأل إلا عن تقصيره فيها. انظر: ابن قدامة، **المغني**، مصدر سابق، ج8، ص117.

- **القاعدة الرابعة: يضاف الفعل إلى الفاعل لا إلى الآمر ما لم يكن مجبرا[1].**

أولا: المعنى الإجمالي:

إن العاقل المكلف مسؤول عن تصرفاته وأفعاله، فإذا فعل فعلا فيه الضمان، أو يترتب عليه حكم شرعي، فإنه ينسب إليه الفعل، ويكون مسؤولا عن آثاره، وإن أمره غيره به، لكن إذا كان الفاعل المأمور مجبراً على الفعل، ولا يمكنه ألا يفعل فإن المسؤولية حينئذ تقع على الآمر.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب:

إنَّ الطبيب مسؤول عن تصرفاته وأفعاله، فإذا فعل فعلا فيه الضمان، أو يترتب عليه حكم شرعي فإنه ينسب إليه الفعل، ويكون مسؤولا عن آثاره، وإن أمره غيره به، لكن إذا كان الطبيب مجبراً على الفعل، ولا يمكنه ألا يفعل فإن المسؤولية حينئذ تقع على الآمر.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

- إذا طلب المريض من الطبيب أن يجري له عملية جراحية، مع أنها تعود عليه بالضرر، ففعل ذلك، فإن هذا لا يلغي الضمان عن الطبيب؛ لأن الفعل يضاف إليه لا إلى الآمر.
- إذا أمر الاستشاري الأخصائي أو الفني بإعطاء المريض نوعًا من العلاج، وفيه ضرر عليه؛ فإن كان الأخصائي أو الفني يعلم أن هذا مضر في هذه الحالة ومع ذلك نفذ كلام الاستشاري فالضمان عليه، وإن كان لا يعلم ذلك، أو يعلم لكن يعتقد أن هذه الحالة يمكن إعطاء المريض فيها هذا النوع، وأن الاستشاري أخبر منه في ذلك فالضمان يكون على الاستشاري؛ لأن الأخصائي والفني في حكم المجبر،؛ فهو ينفذ أوامر من فوقه.

- **القاعدة الخامسة: إذا اجتمع المباشر والمتسبب يضاف الحكم إلى المباشر[2]**

أولا: المعنى الإجمالي:

المباشر هو الفاعل للشيء بذاته، والمتسبب هو المفضي والموصل إلى مباشرة الفاعل.

---

(١) انظر: أحمد الزرقا، **شرح القواعد الفقهية**، مرجع سابق، ص:443، البورنو، **الوجيز**، مرجع سابق، ص:378.
(٢) انظر: ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، 190، أحمد الزرقا، **شرح القواعد الفقهية**، مرجع سابق، ص447؛ الزركشي، **المنثور**، مصدر سابق،ج1، ص133، السيوطي، **الأشباه والنظائر**، مصدر سابق، ص:162، **قواعد ابن رجب**، مصدر سابق، ص598، رقم: 127.

وقد يقال له سبب، فإذا استند إتلاف أموال الآدميين ونفوسهم إلى شخص باشر الإتلاف بنفسه، وشخص تسبب فيه ولم يباشره؛ تعلق الضمان بالمباشرة دون السبب؛ لأن المباشر هو العلة الفاعلة التي حصل بها الإتلاف.

وهذه القاعدة تشبه القاعدة السابقة: يضاف الفعل إلى الفاعل لا إلى الآمر ما لم يكن مجبراً، إلا أن قاعدة اجتماع المباشر والسبب أوسع أثراً، فلا ترتبط بوجود أمر، لكن قد يكون المباشر نشأ فعله عن السبب، وكان السبب له تأثير كبير في وجوده، فإن كان المباشر لا عدوان فيه فالضمان على السبب، وإن كان المباشر فيه عدوان اشترك مع السبب في الضمان.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب:

إنَّ الطبيب هو المباشر لجميع تصرفاته وأفعاله، فإذا استند عمل الطبيب إتلاف أموال الآدميين ونفوسهم بأن باشر الإتلاف بنفسه، وغيره تسبب فيه ولم يباشره؛ تعلق الضمان بالمباشرة دون السبب؛ لأن المباشر هو العلة الفاعلة التي حصل بها الإتلاف.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة:

١– إذا قام بالعمل الطبي الواحد فريق متكامل، فيسأل كل واحد منهم عن خطئه؛ ويكون رئيس الفريق مسؤولا مسؤولية تضامنية عن فعل معاونيه إذا أخطأ في توجيههم، أو قصر في الرقابة عليهم.

٢– إذا كان الطبيب غير محسن في صنعته، مع علم إدارة المشفى بذلك فإن الضمان يكون مشتركاً بينهما.

- **القاعدة السادسة: الثابت بالبرهان كالثابت بالعيان[١]**

أولا: المعنى الإجمالي: إن الشيء إذا كان ثابتاً بدليل معتبر فحكمه ما كان ثابتاً بالحس ومشاهداً بها.

ثانيا: علاقة هذه القاعدة بتصرفات الطبيب: إنَّ التقارير الطبية تعتبر برهانا تدان بها تصرفات الطبيب الظاهر فيها التقصير والإخلال بعمله.

ثالثا: فروع تطبيقية على القاعدة: إذا ثبت تفريط الطبيب في عمله بدليل برهاني، فلا حاجة لوجود شهود على الفعل، بل يكفي وجود التقارير الطبية التي تبين أن هذا الفعل فيه تقصير.

---

[١] انظر: ناظر زاده، **ترتيب اللآلي**، (تحقيق: خالد عبد العزيز آل سليمان)، ج1، ص576، أحمد الزرقا، **شرح القواعد الفقهية**، مرجع سابق، ص:367.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على محمد سيد الأنبياء والمرسلين ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد – صلى الله عليه – وسلم –، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فقد بذلت جهدي واستفرغت وسعي في جمع شتات هذا البحث وإخراجه، وتوخيت في ذلك أفضل ما أستطيع من الإكمال والإتمام رغم أني أعلم – يقيناً – أنني لم أبلغ فيه الكمال، ولم أصل إلى غاية المرام، وإنما هذا وسعي وقصارى جهدي فإن كنت وفقت فيه للصواب فهذا من فضل ربي – وله الحمد والمنة – وإن أخطأت فأسأل الله أن يغفر لي خطئي ويمحو زلتي، وأسأله – تعالى– أن يجعل خير عملي آخره، وخير أيامي يوم ألقاه، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه وأن ينفع به إخواني المسلمين إنه سميع مجيب.

وأنا مع وضعي هذا البحث أقول كما قال أهل العلم إذ لا أبرىء نفسي ولا ما خطّ قلمي من الخطأ الذي لا يكاد يخلو منه تصنيف، ولا يخلص من توغله تأليفٌ، وأنا أعوذ بالله – بارئ النسم–، من كل ما طغى فيه القلم، وجرى منى على الوهم، وأعوذ به من كل متكلف يتتبع فيه علىَّ العثرات، ويحصى ما وقعت فيه من الفلتات، وجل همه إظهار الغلطات، وطي الحسنات، مع أنه لو أراد إنسانٌ أن لا يخطئ في شيء من العلم لما حصل مراده مهما فعل وهيهات، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل، إلا بتفضل رب الأرض والسموات. بل إني أعترف فيه بكمال القصور، وأسأل الله الصفح عما جرى به القلم بهذه السطور، وأقول للناظر في رسالتي هذه: لا تأخذن في نفسك علي شيئا وجدته فيه مغايرا لفهمك، فإن الفهوم تختلف، ولقلما تتفق العقول كلها وتأتلف، ولولا اختلاف الأنظار لبارت السلع، وهدمت صوامع وبيع، فإن رمت الوقوف على زلةٍ لي في مثل هذا العمل الذي هو كالبحر العَيْلَم، فلا شك أنك واجدٌ، وليس هذا مما يستحيا منه، بل هو من المحامد، والسعيد من عدت غلطاته، وحسبت سَقَطاته، وأحصوا عليه هَنَاته ؛ لأن هذا يدل على ندرتها بجنب حسناته والجواد يكبو، والنار – بعد أَوَارِها – تخبو، والصارم ينبو، والفتى قد يصبو.

ولا يخفى عليك أن التعقب على الكتب الطويلة سهلٌ بالنسبة لتأليفها، ووضعها وترصيفها، كما يشاهد في الأبنية القديمة، والهياكل العظيمة، حيث يعترض على بانيها مَنْ عَرَى فَنَّه القوى والقدر، بحيث لا يقدر على

وضع حجرٍ على حجرٍ ! فهذا جوابي، عما ورد في رسالتي، فلربما كان اعتراضك بعد هذا البيان من تجاهل العارف، وإلاَّ فلا يخفاك أن الزيوف تدخل على أعلى الصيارف، أما إنكار المشار إليه أن يكون عند المتأخر ما ليس عند المتقدم، فتلك شِنْشِنَةٌ نعرفها من أخزم !! [1]

وقد يتعثر في الرأى جِلة أهل النظر، والعلماء المبرزون، الخائفون لله الخاشعون. ولا نعلم أن الله تعالى أعطى أحداً موثقا من الغلط وأمانا من الخطأ، فنستنكف له منه، بل وصف عباده بالعجز، وقرنهم بالحاجة، ووصفهم بالضعف، ولا نعلمه تبارك وتعالى خص بالعلم قوما دون قوم، ولا وقفه على زمن دون زمن بل جعله مشتركا مقسوما بين عباده، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول، وينبه المُقِلُّ منه على ما غفل عنه المكثر، ويحييه بمتأخر يتعقب قول متقدم، وتالٍ يعترض على ماضٍ، وأوجب على كل من علم شيئا من الحق أن يظهره وينشره، وجعل ذلك زكاة العلم، كما جعل الصدقة زكاة المال.

ولا يخفى أن كل طالب علم يسلك مسلك البحث والتحقيق لا بد أن تظهر له ثمار ونتائج من خلال بحثه، ومن خلال معايشتي لهذا البحث ظهر لي عند الفراغ من البحث نتائج مفيدة، ومن أبرزها ما يأتي:

١. أهمية القواعد الفقهية وأثرها الواضح في المسائل الفقهية حفظا واستنباطا.

٢. ينبغي على الطبيب إعمال الشريعة الإسلامية عند النظر في أحوال المرضى.

٣. ينبغي الاهتمام بالمسائل الطبية من حيث تفريعها وتقعيدها.

٤. ينبغي الاهتمام بعلم القواعد الفقهية تعليما وتطبيقا , وذلك لسهولته من جانب , وأثره في التطبيق من جانب آخر.

٥. ينبغي الاهتمام بإبراز الرابط أو العلاقة بين القاعدة وفروعها ؛ لأن معرفة ذلك وإتقانه يغني عن الإسهاب في ذكر الفروع المندرجة ,؛ فهو بمثابة تعليم الصيد للمحتاج إليه , بينما إكثار التفريع بمثابة الصيد له , ولا شك أن تعليمه ذلك ليقوم به دون حاجة إلى أحد أولى.

وفي نهاية هذا البحث أذكِّر القارئ الكريم بأنني قد اجتهدت في بحثي هذا، ولا أدعي الكمال،؛ فهو جهد بشري معرض للنقص، وكاتبه أحوج الناس إلى الحق والدلالة على الصواب.

ثبت المصادر والمراجع

١. ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، **المحلى**, طبعة مصححة ومقابلة على نسخة الشيخ: أحمد شاكر, تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي

[1] انظر "بتصرف" الحُوَيْنِي , أَبو إِسْحَاق الأثري، تَنْبِيهُ الهَاجِدْ إِلَى مَا وَقَعَ مِنَ النَّظَرِ فى كُتُبِ الأَمَاجِدِ , مصدر الكتاب: موقع شبكة مشكاة الإسلامية , www.almeshkat.net , 1 / 43 _ 44.

منشورات دار الأفاق الجديدة, بيروت.
٢. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين الدمشقي، (٢٠٠٤). **تقرير القواعد**، (تحقيق: إياد بن عبد اللطيف القيسي)، ط١، بيت الأفكار الدولية.
٣. ابن قدامة، **الكافي**، المكتب الإسلامي /بيروت.
٤. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، **المغني**، دار الفكر – بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٥. ابن نجيم، **الأشباه والنظائر**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٦. الأشقر، محمد سليمان، **إفشاء السر في الشريعة الإسلامية**، بحث نشر في الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية.
٧. الأهدل، عبد الهادي بن ابراهيم, (١٤٠٧هـ). **الأقمار المضيئة شرح القواعد الفقهية**، ط١, مكتبة جدة.
٨. البورنو، محمد صدقي, (١٤١٦هـ). **الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية**، ط٤، مؤسسة الرسالة/بيروت.
٩. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، (د.ت). **الجامع الصحيح**، (تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون)، د.ط، دار إحياء التراث العربي / بيروت، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها
١٠. الجبير، (١٤٣٠هـ). **بحث القواعد والضوابط الفقهية المؤثرة في العمل الطبي**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض.
١١. الجبير، **الإذن في إجراء العمليات الطبية**، رسالة ماجستير، جامعة الإمام.
١٢. الجزائري، أبو عبد الرحمن عبد المجيد جمعة، (١٤٢١هـ). **القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ط١، دار ابن القيم، دار ابن عفان
١٣. الجهني، أحمد بن محمد بن عايد الرفاعي, (١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م). **بحث تطبيقات قاعدتي (لا ضرر ولا ضرار) و(المشقة تجلب التيسير) في الأحكام الطبية**, د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض.
١٤. الحصني أبي بكر محمد بن عبد المؤمن المعروف بتقي الدين, (١٤١٨هـ). **القواعد**، (تحقيق: عبد الرحمن بن عبدالله الشعلان وجبريل بن محمد البصيلي)، ط١، مكتبة الرشد/الرياض.
١٥. الحصين، عبد السلام بن إبراهيم بن محمد، (١٤٣٠هـ). **بحث تطبيق القواعد الفقهية على مسائل التخدير المعاصرة**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض
١٦. الدوسري، مسلم بن محمد، (١٤٢٨هـ). **الممتع في القواعد الفقهية**، ط١، دار زدني.
١٧. الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي، (١٤١٧هـ). **تحفة الملوك**، (تحقيق: عبدالله نذير أحمد)، ط١، دار البشائر الإسلامية/ بيروت.
١٨. الردادي، عبد الرحمن بن رباح بن رشيد، (١٤٣٠هـ). **قاعدة درء المفاسد مقدم على جلب المصالح وتطبيقاتها في المجال الطبي**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض، ص ٥٦–٥٩.
١٩. الزرقا: مصطفى احمد، **المدخل الفقهي العام**، **دار** الفكر، دمشق، ط ١٠، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.
٢٠. الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م). **شرح القواعد**، ط٢،دار القلم / دمشق.
٢١. الزركشي، بدر الدين بن بهادر, المنثور في القواعد، تحقيق: د. تيسير فائق أحمد محمود،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٢٢. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي,(١٤١١هـ/١٩٩١م). **الأشباه والنظائر**، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض)، ط١، دار الكتب العلمية/بيروت.
٢٣. السعيدان، وليد بن راشد، (د.ت). **القواعد الشرعية في بعض المسائل الطبية**، د.ط، المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
٢٤. السعيدان، وليد بن راشد, (د.ت). **الإفادة الشرعية في بعض المسائل الطبية**، د.ط، المكتبة الشاملة،الإصدار الثاني.
٢٥. السلامي، محمد المختار، **الطبيب بين الإعلان والكتمان**، بحث نشر في الرؤية الإسلامية لبعض الممارسات الطبية.
٢٦. السيوطي، **الأشباه والنظائر**, (تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي) دار الكتب العلمية / بيروت – لبنان.
٢٧. شبير، محمد عثمان، **القواعد الكلية والضوابط الفقهية في الشريعة الإسلامية**، ط١, دار الفرقان/عمان – الأردن، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٨. الشنقيطي، محمد بن محمد المختار، **أحكام الجراحة الطبية**، مكتبة الصحابة، جدة
٢٩. الشهراني، عايض بن عبدالله، **بحث قاعدة لا ضـرر ولا ضـرار وتطبيقاتها الطبية**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض، ١٤٣٠هـ.
٣٠. العز، عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، قواعد الأحكام، دراسة وتحقيق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، دار المعارف بيروت – لبنان.

٣١. الغزالي،**الوسيط**، (تحقيق: أحمد محمود ابراهيم ومحمد محمد تامر)، ط١، دار السلام / القاهرة،١٤١٧هـ.
٣٢. القرافي: شهاب الدين أبو العباس احمد بن إدريس الصنهاجي، **الذخيرة**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ط١، ١٣٤٤هـ.
٣٣. المطرودي، علي بن عبد العزيز بن ابراهيم، **بحث تطبيق القواعد الفقهية على المسائل الطبية**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض ١٤٣٠هـ.
٣٤. المقرن، محمد بن سعد، **بحث المشقة بين الطب والشرع**، د.ط، إدارة التوعية الدينية لصحة الرياض،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
٣٥. المقري، **القواعد**، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقَّري، تحقيق: د/ أحمد بن عبد الله بن حميد، نشر مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة، جامعة أم القرى، من دون تاريخ.
٣٦. ناظر زاده، محمد سليمان، **ترتيب اللآلي في سلك الأمالي**، (تحقيق: خالد عبد العزيز آل سليمان)، ط١، مكتبة الرشد/الرياض،١٤٢٥هـ.

الإجارة ومشروعيتها

د. فاطمة الفرحاني

تخصص فقه المعاملات المالية - عضو في مختبر الأصول الشرعية للمعاملات والكونيات سايس- المغرب

يُعدّ عقد الإجارة من العقود التي يحتاجها الناس، ويكثر التساؤل حول أحكامها، نظرا لكثرة التعامل بها بين الناس، لذلك اهتم بها الشرع الحنيف، ووضع لها أحكاما خاصة بها، والتي تجيب عن التساؤل المطروح بين الناس.

وقد بينت مفهوم هذا العقد ومشروعيته والحكمة منه في النقط الآتية:

النقطة الأول: الإجارة في اللغة والاصطلاح

أولا: الإجارة لغة: الإجارة مشتقة من الأجر وهو العوض، ومنه سمي الثواب أجرا[1]. والإجارة مثلثة الهمزة، فيقال: إجارة، أجارة، أُجارة، وهي مأخوذة من: أجر، يأجر، أجرا، والأجر الجزاء على العمل، ومنه الثواب، يقال: آجرك الله: أي أثابك، وآجره: إذا أعطاه الأجر، ويجمع الأجر على أجور، مثل فلس وفلوس، والأجرة: الكراء، والجمع: أُجَر، مثل: غرفة وغرف، وربما جمعت: أجرات بضم الجيم وفتحها، والأجير بمعنى فاعل، ويجمع على أجراء مثل شريف شرفاء[2].

ثانيا: الإجارة في الاصطلاح: تعددت عبارات الفقهاء في تعريف الإجارة، لكنها كلها متقاربة، وتؤول في النهاية إلى معنى واحد، وهو أنها: عقد على منفعة معلومة بعوض معلوم.

عرفها المالكية بما يأتي: جاء في حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: "الإجارة هو تمليك منافع شيء مباح مدة معلومة بعوض[3]. وقد خص المالكية غالبا لفظ الإجارة بالعقد على منافع الآدمي، وما يقبل الانتقال غير السفن والحيوان، ويطلقون على العقد على منافع الأراضي والدور والسفن والحيوانات لفظ كراء، فقالوا: الإجارة والكراء لفظ واحد في المعنى.

[1] محمد السيد سابق، فقه السنة، ج4/ص98، دار الفتح للإعلام العربي، الطبعة الثالثة 1428هـ/2008م.
[2] ابن منظور، لسان العرب ج4/ص10مادة أجر، الفيومي، المصباح المنير، ج1/ص5، مادة أجر، الزمخشري، أسس البلاغة، ج1/ ص22، مادة أجر.
[3] الدسوقي في حاشيته على الشرح الكبير، ج4/ص2.

ومن **تعريفات الحنفية** للإجارة: عرفوها مرة أنها تمليك: "الإجارة تمليك منفعة"[١]، وتارة عقد بيع على منفعة: "بيع منفعة معلومة بأجر معلوم"[٢]، وقد جاء في المبسوط أنه عقد على منفعة: "الإجارة عقد على المنفعة بعوض هو مال"[٣].

عرفها الشافعية[٤]: أنها: "عقد على منفعة مقصودة معلومة قابلة للبدل والإباحة بعوض معلوم". فخرج بـ "منفعة" العين وبـ"مقصودة" التفاهة كاستئجار بياع على كلمة لا تتعب، وبـ"معلومة" القراض والجعالة على عمل مجهول، ويقابله لما ذكر منفعة البضع، فإن العقد عليها لا يسمى إجارة، فإذا قيل: منفعة البضع لم تدخل حتى يحتاج إلى إخراجها، فإن الزوج ما ملك المنفعة؛ وإنما ملك أن ينتفع، أجيب بأن قولهم على منفعة ليس فيه أنه ملك المنفعة، فلهذا أخرجت بـ "قابلة" للبدل، وبـ"عوض" هبة المنافع والوصية بها والشركة والإعارة، و"بمعلوم" المساقاة والجعالة على عمل معلوم بعوض مجهول كالحج بالرزق.

و**عرف الحنابلة الإجارة** أنها: "عقد على منفعة مباحة معلومة، مدة معلومة، من عين معينة، أو موصوفة في الذمة، أو عمل معلوم بعوض معلوم"[٥]، وهذا التعريف تضمن ما من معنى للإجارة في التعريفات السابقة.

ثالثا: أنواع الإجارة

الإجارة نوعان:

- إجارة المنافع: كاستئجار الدور، والأراضي، والدواب، والثياب.
- إجارة على الأعمال: كاستئجار أرباب الحرف والصنائع، الخدم، والعمال.

النقطة الثانية: مشروعية الإجارة

هي عقد لازم من الطرفين إذا تمت، وتنعقد بكل لفظ يدل عليها كأجرتك، واكتريتك ونحو ذلك مما جرى به العرف[٦]. ومشروعيتها بالكتاب والسنة والإجماع والمعقول كما يأتي:

أولا: مشروعية الإجارة بالقرآن

---

١ ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار،ج3/ص9.
٢ الزيلعي، تبيين الحقائق، ج5/ص105.
٣ السرخسي، المبسوط، ج15/ص74.
٤ الكهجي، زاد المحتاج بشرح المنهاج، ج2/ص367، الشربيني، مغني المحتاج، ج2/ص327.
٥ الفتوحي، منتهى الإرادات، ج3/ص67
٦ محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي، ج3/ص527، ط: الأولى، 1430هـ/2009م.

قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف: ٣٢)، ووجه الاستدلال من الآية: إخبارها بأن إرادة الله اقتضت تهيئة نظام الحياة على نحو يحقق تسخير الناس بعضهم لبعض، واحتياج بعضهم إلى بعض ليكون ذلك سببا بينهم في تبادل المنافع، هذا بخدمته وهذا بما في يديه من المال، ولهذا قدر سبحانه في خلق الناس أن يكونوا متفاضلين بالقوة والضعف، والعلم والجهل، والفهم والغباء، والنباهة والخمول، والغنى والفقر، وهو معنى رفع بعضهم فوق بعض وكل ذلك من حكمة الله تعالى ورحمته[١].

وقوله تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف: ٧٧)، وفي هذه الآية دليل على صحة جواز الإجارة، وهي سنة الأنبياء والأولياء[٢]، وأخذ الأجرة والمعاوضة على المنافع.

ثانيا: مشروعية الإجارة بالسنة

إن من دليل مشروعية الإجارة بالسنة قوله – صلى الله عليه وسلم – قال: «**قال تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»[٣]، ويدل هذا الحديث على جواز الإجارة، وخصامه سبحانه وتعالى للمؤجر الذي لم يعط الأجير أجره، كما أنه دليل على تحريم منع أجرة الأجير.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه –، قوله – صلى الله عليه وسلم –: «**ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم**». **فقال أصحابه وأنت؟ فقال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**[٤].

ويدل هذا الحديث على جواز الإجارة مقابل أجر يدفع للمؤجر، كما أنها كانت من قبل مبعث النبي – صلى الله عليه وسلم – واستمرت إلى يومنا، لو كانت محرمة ما عمل بها الأنبياء وما أقروها.

---

[١] الحبيب بن طاهر، الفقه المالكي وأدلته، ج6/ص248، مؤسسة العرفان بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م.
[٢] القرطبي، الجامع الأحكام،ج13/ص347.
[٣] البخاري، الصحيح، كتاب الإجارة، باب إثم من منع أجر الأجير، رقم2270 ج2/ص133.
[٤] البخاري، الصحيح، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، 2262 ج2/ص130.

وحديث عائشة – رضي الله عنها – قالت : «**استأجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر رجلا من بني الدِّيل، هاديا خِرِّيتًا وهو على دين قريش، فدفعا إليه راحلتهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالي، فآتاهما براحلتيهما صُبْحَ ثَلاَثٍ**»[1] .

ثالثا : مشروعية الإجارة بالإجماع

أجمع أهل العلم في كل عصر ومصر إلى يومنا هذا على جواز الإجارة، إلا ما حُكي عن عبد الرحمن بن الأصم أنه قال : لا يجوز ذلك؛ لأنه غرر يعني : أنه يعقد على منافع لم تخلق وهذا غلط لا يمنع انعقاد الإجماع الذي سبق في الأعصار وسار في الأمصار، والعبرة أيضا دالة عليه فإن الحاجة إلى المنافع كالحاجة إلى الأعيان، فلما جاز العقد على الأعيان وجب أن تجوز الإجارة على المنافع، ولا يخفى على الناس من الحاجة إلى ذلك، فإنه ليس لكل أحد دار يملكها ولا يقدر كل مسافر على بعير أو دابة يملكها ولا يلزم أصحاب الأملاك إسكانهم وحمله تطوعا، وكذلك أصحاب الصنائع يعملون بأجر ولا يمكن لكل أحد عمل ذلك، ولا يجد متطوعا به فلا بد من الإجارة لذلك بل ذلك مما جعله الله تعالى طريقا للرزق؛ حتى أن أكثر المكاسب بالصنائع، وما ذكره من الغرر لا يلتفت إليه مع ذكرنا من الحاجة فإن العقد على المنافع لا يمكن بعد وجودها؛ لأنها تتلف بمضي الساعات فلا بد من العقد عليها قبل وجودها كالسلم في الأعيان[2] ؛ فأجمعت الأمة على مشروعية الإجارة، ولا عبرة بمن خالف هذا الإجماع من العلماء[3] .

رابعا : مشروعية الإجارة بالمعقول

شرعت الإجارة بالمعقول؛ لأنها وسيلة للتيسير على الناس في الحصول على ما يبتغونه من المنافع التي لا يملكون أعيانها، فالحاجة إلى المنافع كالحاجة إلى الأعيان، فالفقير محتاج إلى مال الغني والغني محتاج إلى عمل الفقير، ومراعاة حاجة الناس أصل في شرع العقود .

وبعد تعريف الإجارة لغة واصطلاحا وبيان حكمها الشرعي، انتقلت إلى الحكمة من الإجارة .

النقطة الثالث : الحكمة من مشروعية الإجارة

---

[1] البخاري، الصحيح، كتاب الإجارة، باب إذا استأجر أجيرا ليعمل له بعد ثلاثة أيام-أو بعد شهر أو بعد سنة-جاز وهما على شرطهما الذي اشترطاه إذا جاء الأجل، رقم 2264 ج2/ص131

[2] ابن رشد، بداية المجتهد، ج2/ص220، الكساني، بدائع الصنائع، ج5/ص515، الشربيني، مغني المحتاج، ج2/ص427، نور الدين أبو طالب البصري الضرير، الواضح في مختصر الخرقي، ج3/ص105.

[3] السيد سابق، فقه السنة، ج4/ص99.

أباح سبحانه وتعالى الإجارة لما فيها من تبادل المنافع بين الناس، يحتاجون لبيوت للسكن فهم ليسوا دائما لهم قدرة على امتلاك البيوت، وحوانيت لاستغلالها في التجارة، والآلات للمنافع، وأرباب الحرف محتاجون لعمال، لهذا فأصحاب الحرف يكسبون رزقهم بالعمل عند غيرهم، وبما أن الحياة هي تكافل وتكامل بين الناس وليس لهم نفس القدرات المالية دائما، فهم في حاجة إلى منافع كما هم في حاجة إلى شراء أعيان، لهذا أباح الله الإجارة تيسيرا على الناس، وقضاء لحاجاتهم بيسير من المال مع انتفاع الطرفين وقد نبه الله تعالى على ذلك في الآية ٣٢ من سورة الزخرف كما مرّ سابقاً.

المصارف الإسلامية
بين المعاملات الصورية والمعاملات الحقيقية

د. بن عوالي محمد الشريف

مدرب متخصص في فقه المعاملات المالية المعاصرة، معهد صالحين للمالية الإسلامية، سلانغور، ماليزيا

من المعلوم أن الواجب على المصارف الإسلامية أن تلتزم وتتقيد بما يحل ويحرم من المعاملات المالية، حتى ينسجم الاسم مع الفعل، ولكن في الآونة الأخيرة كثر الحديث عن المعاملات المالية التي تقدمها وتتعامل بها المصارف الإسلامية، حيث إن حقيقة بعض هذه المعاملات صورية وليست حقيقية تظهر تحت مسمى المعاملات الإسلامية، فالصورية في المعاملات تعتمد على وجود عقدين: أحدهما ظاهر والآخر مستتر يسعى إلى إخفائها المتعاقدان، لذا فإن البحث في هذا الموضوع يعدُّ أمراً ضرورياً وعاجلاً لمعالجته، حتى نجنب المصارف الإسلامية من الوقوع في معاملات غير مشروعة.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم دراسة نظرية تأصيلية لموضوع الصورية في المعاملات المالية الإسلامية، حيث تناولت هذه الدراسة صياغة دقيقة لمفهوم الصورية ومحدداتها، مع التأصيل لمعايير واضحة تكشف عن العقود الصورية، وتمييزها عن العقود الحقيقية.

أولاً: تعريف الصورية. إن مصطلح الصورية حديث الاستعمال لم يعرف عند الفقهاء القدامى بهذا الاسم، **فالصورية في الاصطلاح** هي "إظهار تصرُّفٍ قصداً، وإبطان غيره، مع إرادة ذلك المبطن[1]". وقد اجتهد العلماء المعاصرون في تعريف الصورية بتعريفات مختلفة باعتبار أنها مصطلح حديث الاستعمال، ومن بين هذه التعريفات: تعريف حسن بن أحمد بن محمد الغزالي: "الصورية في العقود هي أن يتفق طرفان على إجراء عقد – ما – صورةً، لا حقيقةً[2]"، وعرّفها الأستاذ نزيه حمّاد: "الصورية في العقود معناه أن يكون اتفاق الطرفين في العقد ظاهريّاً فقط، أما الإرادة الحقيقية فهي منتفية فيه. فإذا وجد هذا النوع من الاتفاق بين الطرفين كان العقد صوريّاً[3]". ويمكننا أن نُعرّف الصورية أنها اتفاق بين المتعاقدين على إنشاء عقد ظاهر وليس حقيقيّاً، للوصول إلى غرضهما، سواء بطريق مشروع أو غير مشروع".

---

[1] حماد، نزيه، معجم المصطلحات الأقتصادية المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، (دمشق: دار القلم، ط١،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ص٢٨٤.

[2] الغزالي، حسن بن أحمد بن محمد، إنشاء الألتزام في حقوق العباد، (الرياض: دار عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٠ م)، ص١٧٩.

[3] حماد، نزيه، معجم المصطلحات الاقتصادية، ص٢٨٤.

ثانياً: المصطلحات ذات العلاقة بالصورية

ناقش العلماء المصطلحات التي تقترب من مصطلح الصورية في تناولهم للعقود المالية من وجهة نظر فقهية وأصولية، حيث إنها تندرج تحت أنواع البيوع التي لا يراد بها حقيقة البيع، مثل: بيع التلجئة ويسمى المواضعة، وبيع الهازل، وبيع المضطر، والإكراه، والحيل، وأقرب المصطلحات الفقهية إلى موضوع الصورية هو بيع التلجئة وبيع الهازل، وأقرب المواضيع الأصولية إلى موضوع الصورية هو الحيل[١].

ثالثاً: العقود الصورية وعلاقتها بالحيل

أشار الإمام ابن القيم إلى أنه ليس كل ما يسمى حيلة حراماً وقد استدل على ذلك بقوله تعالى: **إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً** (النساء: ٩٨)، ووجه الدلالة: " أنه أراد بالحيلة التحيل على التخلص من بين الكفار وهذه حيلة محمودة يثاب عليها، وكذلك الحيلة على هزيمة الكفار[٢] "، وقد قسّم الحيل إلى نوعين وسمّاها حيل محرمة وحيل مباحة[٣]. ومن خلال تحديد مفهوم الحيلة يتبين لنا أن الحيل أنواع منها ما هو مشروع ومنها ما هو غير مشروع، فالحيلة إذاً هي القيام بإجراء عقد – ما – بمظهر خفي وليس حقيقي قد يكون مشروعاً أو غير مشروع، وهذا هو وجه التباين مع حقيقة الصورية، أما وجه الفرق بينهما فقد يكون الغرض في الحيلة حقيقيّاً حيث ينتج أثراً في التعاقد كالتورق في بيعتين مستقلتين، وقد يكون الغرض صوريّاً بين المتعاقدين بحيث لا ينتج أثراً في التعاقد. ولذلك قد يكون التحيّل على الربا بالبيوع الصورية، فالصورية هي من أهم وسائل التحيّل على الربا، وذلك بتركيب جملة من الشروط والعقود المشروعة في الظاهر مع التلفيق في الأحكام كبيع العينة[٤].

وقد بيّن النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا المقام أهم القواعد التي يتوصل بها إلى التحيّل باسم البيع على الربا حيث جمعها في حديث واحد، فعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لا

---

[١] انظر: شخار، أبو نصر، التحيّل على الربا في هندسة أدوات التمويل الإسلامي، (عمان: مكتبة مسقط، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م)، ص١٦٤.

[٢] انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، إعلام الموقعين، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، (بيروت: دار الكتب العلمية، د،ط. ١٩٧٣م)، ٣/٢٤٠.

[٣] انظر: المرجع نفسه، ٣/٣٣٤، ٣٣٥.

[٤] انظر: العمراني، عبد الله بن محمد بن عبد الله، العقود المركبة، (الرياض: دار كنوز اشبليا، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١٣٦؛ انظر: شخار، التحيّل على الربا في هندسة أدوات التمويل الإسلامي، ص١٧١.

يحل سلف وبيع ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن ولا بيع ما ليس عندك[١]" . قال ابن القيم: عن هذا الحديث: " هذا الحديث أصل من أصول المعاملات وهو نص في تحريم الحيل الربوية[٢]" .

رابعاً: الصورية وعلاقتها بعقد التلجئة والهازل

عرّف د. وهبة الزحيلي – رحمه الله – التلجئة بقوله: " أن يتظاهر أو يتواطأ شخصان على إبرام عقد صوري بينهما إما بقصد التخلص من اعتداء ظالم في بعض الملكية، أو بإظهار مقدار بدل أكثر من البدل الحقيقي ابتغاء الشهرة والسمعة، أو لتغطية اسم الشخص الذي يعمل لمصلحته باطناً[٣]" . هذا التعريف يوضح لنا حقيقة بيع التلجئة، والتي هي تواطؤ اثنين على التظاهر بإنشاء عقد من غير أن يكون لذلك حقيقة، بمعنى أنه عقد صوري وليس حقيقي، ويدخل تحت هذا من كانا يقصدان بالتظاهر اكتساب الشهرة لأحدهما، أو النقل الصوري للملكية. ومن الجدير بالذكر هنا أنه شاع إطلاق عقد التلجئة عند بعض العلماء المعاصرين على كل عقد صوري؛ لأنها تتضمن اللجوء إلى الغير والتستر بغطاء صوري، ولو كان القصد من ورائه جلب مصلحة، أو دفع مفسدة.

أما الهازل؛ فهو " ألاّ يراد باللفظ ودلالته المعنى الحقيقي ولا المجازي، بل أريد به غيرهما وهو ما لا تصح إرادته منه"[٤]، وجاء تعريف الهازل في فتح القدير: " وأما الهازل فمريد لمعنى اللفظ غير مريد لحكمه فلا يلتفت لقصده م الحكم"[٥]، فالهازل قصد صورية اللفظ وعمد إلى ذلك باختياره ولم يرد إنشاء العقد وإنما أراد به غرضاً آخر.

خامساً: شروط العقود الصورية

هناك شروط يجب توفرها في العقد حتى يوصف بأنه صوري وهي:

١. أن يوجد عقدان أو موقفان اتحد فيهما الطرفان والموضوع.

٢. أن يختلف العقدان من حيث الماهية، أو الأركان، أو الشروط.

---

[١] أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ٣/ ٣٠٣، باب فى الرجل يبيع ما ليس عنده، رقم الحديث: ٣٥٠٦؛ انظر: الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ٣/ ص٥٣٥. قال الألباني: حديث حسن صحيح.

[٢] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٥ه)، ٩/٢٩٢.

[٣] الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، (دمشق: دار الفكر، ط٤، د.ت) ٤/٥٤٩.

[٤] ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز، حاشية الدر المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ٣/٢٣٨.

[٥] ابن الهمام، كمال الدين، شرح فتح القدير، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، ٣/ ١٩٥.

٣ . أن يكونا متعاصرين، فيصدرا معاً في وقت واحد .

٤ . أن يكون أحدهما ظاهراً علنياً وهو العقد الصوري، ويكون الآخر مستتراً وهو العقد الحقيقي[١] .

سادساً : أقسام الصورية

أقسام الصورية : تنقسم الصورية باعتبار المشروعية إلى قسمين :

ا. **الصورية المشروعة :** هي التحايل على قلب طريقة مشروعة، واستعمالها في حالة أُخرى وذلك بقصد التوصل إلى إثبات حق، كحفظ مال اليتامى، أو منع مظلمة، كما لو أراد ظالم أن يعتدي على مال ضعيف، فعقد الضعيف مع آخر عقد بيع صوري ليوهم أن المال قد انتقل إلى غيره، فيندفع بذلك الظلم[٢] .

ب. **الصورية غير المشروعة :** وهي الوسائل التي يتوصل بها إلى التحيّل باسم البيع على الربا وذلك بتركيب جملة من الشروط والعقود المشروعة في الظاهر مع التلفيق في الأحكام، كبيع العينة والتورق المنظم وكالمدين المماطل مع غيره عقداً صوريّاً ليخفي بهذا العقد ماله؛ وذلك لكي لا يطالبه الدائن بسداد الدين. والغالب في الصورية غير المشروعة أن العاقد يريد بها التحايل على الأحكام القانونية المتعلقة بالنظام العام، أو الإضرار بحقوق الغير أو الغش[٣] . ومما تجدر الإشارة إليه أن الفقهاء اختلفوا فيما إذا اختلف اللفظ والنية، فهل ينعقد العقد وينتج آثاره أو لا؟ فقد ذهب جمهور الفقهاء أن العبرة في العقود بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني .

سابعاً : أسباب ظهور الصورية

للصورية أسباب تبعث المتعاقدين للتعامل بها (المؤسسات والمصارف الإسلامية)، وفيما يلي بيان لأهم الأسباب :

١ . اللجوء إلى الصورية وفقاً لمتطلبات قانونية أو رقابية تهرباً من مخاطر معينة، فقد تُفرض على البنوك الإسلامية قيودٌ على الملكية مما يجعلها صوريةً وليست حقيقيةً، وهذه القيود منها ما يتعارض مع أصل المِلك[٤] .

---

[١] السنهوري، الوسيط، الوسيط في شرح القانون المدني الجديد. (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت، د.ط.٢/١٠٧٧.

[٢] انظر: الدناصوري، الصورية في ضوء الفقه والقضاء، ص١٠؛ انظر: الغليقة، صيغ العقود في الفقه الإسلامي، ص ٣٧٠، ٣٧١.

[٣] انظر: الغليقة، صيغ العقود في الفقه الإسلامي،(الرياض: دار كنوز إشبليا. ٢٠٠٦م، ط١)، ص ٣٧٠، ٣٧١.؛ انظر: الدريني، نشأت إبراهيم، التراضي في عقود المبادلات المالية، (جدة: دار الشروق، ط١، ١٩٨٦م)، ص٢٥٧.

[٤] انظر: يوسف بن عبد الله الشبيلي، المواءمة بين الضوابط الشرعية ومبادئ الرقابة والتنظيم، (إسرا: المؤتمر العالمي لعلماء الشريعة، المواءمة بين الضوابط الشرعية ومبادئ الرقابة والتنظيم في الصناعة المالية الإسلامية، ٢٩، ٣٠، ٢٠١٣م).

٢. اللجوء إلى الصورية بسبب الإجراءات القانونية والمحاسبية الخاصة بالدولة التي توجد فيها الأصول محل العقد، فقد يمنع قانون دولة ما تسجيل الأصول بأسماء الأجانب، أو يشترط تسجيل الأصول باسم البنك المحلي أو باسم العميل، فهناك كثير من المنتجات الإسلامية في البنوك الإسلامية مالكها القانوني هو البنك الإسلامي، ومالك الملكية النفعية هو المستأجر[١].

٣. صعوبة تطبيق أحكام الشريعة والالتزام الكامل بها في المجال الاقتصادي في ظل عالم يسوده الربا، فما زالت البنوك الربوية هي المسيطرة على العالم، مما يجعل منافسة البنوك الإسلامية لها صعبة[٢]، ولذلك لجأت البنوك الإسلامية للعقود الصورية.

٤. محاكاة البنوك الإسلامية البنوك الربوية في كثير من الأمور، من ضمنها المنتجات التمويلية، والرقابة الحكومية بسبب النظام الاقتصادي أو المالي العام الذي يُعد مزدوجاً بين البنوك الإسلامية والبنوك الربوية[٣].

٥. النقل الصوري للملكية، بسبب استعجال الربح أو التهرب من الالتزامات القانونية.

٦. ضعف النظام الرقابي من قبل البنك المركزي أو الجهة الحكومية المختصة.

٧. الصورية هي وسيلة لإنشاء المديونية ولحماية الضمان العام للدائنين – البنك الإسلامي – ، فيكون تصرف المدين صوريّاً لا وجود له في الحقيقة والواقع، فمثلاً: لو اتفق المدين مع شخص آخر على أن يظهر هو بمظهر البائع، ويظهر الشخص الآخر بمظهر المشترى، بينما يتفقان فيما بينهما على أن البيع ليس حقيقيّاً، فبهذه الوسيلة تخرج العين المبيعة من الضمان العام للدائنين[٤].

الخاتمة: في ختام هذا البحث أخلص إلى أهم النتائج التي توصلت إليها وهي كالآتي:

- أن الصورية في الفقه الإسلامي تنقسم إلى قسمين: صورية مشروعة وصورية غير مشروعة ومن أمثلة الصورية المشروعة في المعاملات المالية المعاصرة والتي يقصد بها التمويل كالمرابحة للآمر بالشراء، والإجارة المنتهية بالتمليك.

---

[١] انظر: عبد الرزاق عبد المجدد ألارو، تطبيق الملكية النفعية والملكية القانونية في التمويل الإسلامي، (إسرا: مؤتمر الملكية القانونية والملكية النفعية والتأمين التكافلي، ١٠ - ١١نوفمبر ٢٠١٤م)؛ انظر: خولة فريز النوابي، تطبيق الملكية النفعية والملكية القانونية في التمويل الإسلامي، (إسرا: مؤتمر الملكية القانونية والملكية النفعية والتأمين التكافلي، ١٠ - ١١نوفمبر ٢٠١٤م).

[٢] انظر: علي محي الدين القره داغي، بحوث في الاقتصاد الإسلامي، (بيروت: دار البشائر، ط٢، ١٤٣٤ه/٢٠١٣م)، /٤ ٣٨٩.

[٣] نايف بن نهار الشمري، المصارف، ندوة: المصارف الإسلامية في قطر هل تسير على ما يرام؟ http://www.al - watan.com/Mobile/viewnews.aspx?n=

[٤] انظر: العمروسي أنور، الصورية وورقة الضد، (القاهرة: دار محمود للنشر والتوزيع، د.ت، ط٢) ص١١.

- ومن أمثلة الصورية غير المشروعة كالتورق المنظم والعينة والتلجئة وبيع الوفاء، فهذه العقود الأصل فيها أنها تحايل على الربا.

وبقيت مسألة مهمة تتعلق بضوابط المعاملات الصورية التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار حتى توصف أنها مشروعة ومن بين هذه الضوابط:

١. ألاّ يكون الجمع بين العقدين وسيلة إلى محرم، فلا يلجأ إلى عقدين ليتوصل إلى محظور كأخذ الربا في بيع العينة.

٢. أن تتوفر شروط عقد البيع وهي: الصيغة، والعاقدان، والمعقود عليه.

٣. عدم التواطؤ وعدم التحايل بين المتعاقدين، لإخفاء معاملة معينة ممنوعة وإظهارها بوجه آخر مباح، خشية الوصول إلى الربا.

٤. لا بد من انتفاء القيود والأوصاف التي تتعارض مع أصل المِلك

٥. اخضاع الواقع للشريعة الإسلامية وليس اخضاع الشريعة الإسلامية للواقع حتى لا تظهر معاملات صورية غير مشروعة تحت مسمى المعاملات الإسلامية.

التوصيات

- الابتعاد عن المعاملات الصورية غير المشروعة، والدخول في عالم الاستثمار المباشر الذي يعتمد على أساس الربح والخسارة كالمضاربة والمشاركة.
- السعي لإنشاء آليات وأدوات حقيقية غير صورية.
- المساهمة في إنشاء هندسة مالية إسلامية متطورة تعتمد على مبادئ الشريعة الإسلامية.
- التعاون بين الباحثين والمتخصصين في حقل المالية الإسلامية لإيجاد عقود إسلامية حقيقية لتفادي الصورية المخادعة للحقيقة التي لا يترتب عليها آثار العقد، وإجراء حلول وتحاليل لواقع المعاملات الصورية.
- التعاون بين المصارف الإسلامية لإيجاد حلول عملية تساعد على منع المعاملات الصورية التي يتوصل بها إلى الربا

وإني أرى أن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة أوسع وتأصيل أعمق وحسبي أن ما قدمته هو خطوة إلى الأمام في البحث العلمي.

المصادر والمراجع:

١. ابن أمير حاج، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمد بن محمد. (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م). التقرير والتحبير. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
٢. ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز. (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م). حاشية الدر المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار. د.ط. بيروت: دار الفكر.
٣. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. (١٩٧٣م). إعلام الموقعين عن ربّ العالمين. د.ط. تحقيق: طه عبد الرءوف سعد. بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي. (١٤١٥هـ). حاشية ابن القيم على سنن أبي داود. بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢.
٥. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. ط١. بيروت: دار صادر.
٦. ابن الهمام، كمال الدين. (د.ت). شرح فتح القدير. د.ط. بيروت: دار الفكر.
٧. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط، بيروت: دار إحياء الكتب العربية.
٨. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (د.ت). سنن أبي داود. د.ط. بيروت: دار الكتاب العربي.
٩. أبو زهرة، الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية. (١٩٩٦م). القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.
١٠. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى. (١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م). السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية.
١١. الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى. (د.ت). الجامع الصحيح سنن الترمذي. د.ط. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٢. حماد، نزيه. (٢٠٠٨م). معجم المصطلاحات الاقتصادية المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء. ط١، دمشق: دار القلم.
١٣. الدّريني، نشأت إبراهيم. (١٩٨٦م). التراضي في عقود المبادلات الماليّة. ط١. جدة: دار الشروق.
١٤. الدناصوري عز الدين والشواربي عبد الحميد. (١٩٩١م). الصورية في ضوء الفقه والقضاء. ط٣. القاهرة: دار المعارف.
١٥. الزحيلي، وهبة مصطفى. (د.ت). الفقه الإسلامي وأدلته. ط٤. دمشق: دار الفكر.
١٦. السنهوري، عبد الرزاق. (د.ت). الوسيط في شرح القانون المدني الجديد. د.ط. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٧. شخار، أبو نصر بن محمد بن عمر. (١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م). التَّحايل على الربا في التمويل الإسلامي. ط١. مسقط: مكتبة مسقط.
١٨. العمراني، عبد الله بن محمد بن عبد الله. (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م). العقود المالية المركبة. ط١. الرياض: دار كنوز اشبليا.
١٩. العمروسي، أنور. (د.ت). الصورية وورقة الضد. ط٢. القاهرة: دار محمود للنشر والتوزيع.
٢٠. الغزالي، حسن بن أحمد بن محمد. (٢٠٠٠م). إنشاء الإلتزام في حقوق العباد. ط١. الرياض: دار عالم الكتب.
٢١. الغليقة، صالح بن عبد العزيز. (٢٠٠٦م). صيغ العقود في الفقه الإسلامي. ط١. الرياض: دار كنوز إشبليا.
٢٢. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، (د.ت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، د.ط. بيروت: المكتبة العلمية.
٢٣. القره داغي، علي محيي الدين. (٢٠٠٩م). بحوث في الإقتصاد الإسلامي. ط١. بيروت: دار البشائر الإسلامية.
٢٤. مدكور، محمد سلاّم. (٢٠٠٥م). المدخل للفقه الإسلامي تاريخه ومصادره ونظرياته العامة. د.ط. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

المؤتمرات:

٢٥. ألارو، عبد الرزاق عبد المجدد. تطبيق الملكية النفعية والملكية القانونية في التمويل الإسلامي، بحث مقدم في مؤتمر الملكية القانونية والملكية النفعية والتأمين التكافلي، اسرا، ماليزيا. (٢٠١٤م).
٢٦. خولة، فريز النوابي، تطبيق الملكية النفعية والملكية القانونية في التمويل الإسلامي، بحث مقدم في مؤتمر الملكية القانونية والملكية النفعية والتأمين التكافلي، اسرا، ماليزيا. (٢٠١٤م).
٢٧. الشبيلي، يوسف بن عبد الله. المواءمة بين الضوابط الشرعية ومبادئ الرقابة والتنظيم. المواءمة بين الضوابط الشرعية ومبادئ الرقابة والتنظيم في الصناعة المالية الإسلامية، اسرا، ماليزيا. (٢٠١٣م).
٢٨. عمور، عبد القادر. الملكية القانونية والملكية النفعية من منظور شرعي وقانوني. بحث مقدم في مؤتمر الملكية القانونية والملكية النفعية والتأمين التكافلي، اسرا، ماليزيا. (٢٠١٤م).
٢٩. الحداد، أحمد بن عبد العزيز، معايير التمييز بين العقود الصورية والعقود الحقيقية. مؤتمر الهيئات الشرعية للمؤسسات المالية الإسلامية، المنامة – البحرين. (٢٠١٠).

المواقع:

٣٠. نايف بن نهار الشمري، ندوة: المصارف الإسلامية في قطر هل تسير على ما يرام؟
٣١. http://www.alwatan.com/Mobile/viewnews.aspx?n=F٧٠F٢٠١٦-٥-١٩٠.

البنوك واستخدام تقنية (البايو متريك)

د. عبد القادر ورسمه غالب

تحتاج البنوك لأقصى درجات الأمان والأمن في أعمالها اليومية، وخاصة، في مجال الصيرفة الإلكترونية الحديثة نسبيا في هذا القطاع القديم المتجدد. وفي هذا الخصوص، لا تتردد البنوك في بذل الغالي والنفيس من أجل توفير الاطمئنان لكافة الزبائن وكسب ودهم وثقتهم في ظل المنافسة القوية المحتدمة بكل أنواع الأسلحة التقليدية أو التقنية الحديثة. وفي خضم تطوير الأعمال المصرفية بما يرضى طموح الزبائن والمتعاملين، وفي سبيل تطوير وتحديث الاستعداد لمعارك البنوك المتواصلة في مواجهة غسل الأموال وتمويل الإرهاب والإجرام الإلكتروني، فإن البنوك تستخدم كل الوسائل اليدوية والتقليدية أو التقنية لتطبيق سياسة "أعرف عميلك" (كي واي سي) و"أعرف عميل عميلك" وهكذا. والتي ساعدت في لجم، ولحد كبير، هذه الجرائم الخبيثة ومن يقف خلفها.

مع تطور الوسائل التقنية للفحص والتحليل والمصادقة والتوثيق، ولتحقيق المزيد من الأمان يتم استخدام التقنية في تطبيق نظام "أعرف عميلك الإلكتروني". ويتم الآن استخدام تقنية ال "بايو مترك" أو تقنية "القياسات الحيوية" المتمثلة في القياس والتحليل الإحصائي للخصائص الفيزيائية والسلوكية الفريدة للناس. ويتم استخدام هذه التقنية في مجال تحديد الهوية، كما في تطبيق نظام أعرف عميلك، والتحكم في الوصول أو لتحديد الأفراد الذين يخضعون للمراقبة "القضائية" مثلا. وعبر التقنية، يمكن تحديد كل شخص بدقة من خلال سماته الجسدية أو الخصائص السلوكية الذاتية. وهذه التقنية، يمكن الاستفادة منها واستخدامها في المعاملات المصرفية، مثل استخدام بطاقة الصرف الآلي أو استخدام بطاقات ووسائل الدفع والسداد عن بعد أو التأكد من معرفة شخصية الزبون أو غيره.. لكشف المجرمين ومنتحلي شخصية الزبائن.

هذه التقنية الحديثة يتم استخدامها لتشمل التعرف على وجه الشخص، بصمات الأصابع، هندسة الأصابع كالحجم والموضع ، التعرف على القزحية، التعرف على الأوردة، مسح شبكية العين، القرنية، التعرف على الصوت ومطابقة الحمض النووي. وكذلك يتم استخدامها لتشمل التعرف على المميزات السلوكية والطرق الفريدة التي يتصرف بها الفرد مثل التعرف على أنماط الكتابة وخط اليد، طريقة المشي وغيرها. وبعد التأكد من هذه الصفات والمميزات أو غيرها، التي حددها الفنيون المختصون، بتم التوثيق والمصادقة الإلكترونية الحديثة "بايو

مترك" . والأهمية تكمن في أن كل هذا النشاط يتم إلكترونيا ومن دون أي تدخل يدوي مباشر من أي شخص. أي إحلال الآلة التقنية مكان البشر.

استخدام هذه المصادقة التقنية عبر التحقق من الهوية الحيوية للفرد، خاصة في الأمور التي تحتاج إلى السرية، أصبح من الأمور الشائعة جدا ويتم استخدام هذه التقنية بازدياد مطرد في أنظمة الشركات والبنوك، الأمن العام، الإلكترونيات الاستهلاكية، تطبيقات نقاط البيع، المطارات الدولية. إضافة للأمان التام، فإن التحقق من الهوية "الحيوية" يعتبر ملائما وقويا وعمليا، حيث يتم التحقق مباشرة ولا توجد الحاجة لإدخال كلمات المرور (باص وورد) أو الحاجة لحمل الرموز الأمنية لأجل تذكرها. بل، ويمكن لبعض أساليب البايو متريك مثل المستخدمة في أسلوب قياس مشية الشخص، أن تعمل دون أي اتصال مباشر مع الشخص الذي يجري متابعته. وهذه تقنية آلية متطورة ويسهل استعمالها في كل الأوقات.

وللعلم فإن العمل عبر هذه التقنية الحديثة، يتم عبر مراحل متعددة وكل مرحلة لها دور محدد تقوم به ثم المرحلة اللاحقة، وكل هذه المراحل يجب أن تتم بسلاسة وبسلامة وأمان تقني. وكل هذا يحتاج لتوفير الأجهزة والمعدات الحديثة الفائقة التطور، ثم تدريب المختصين للعمل فيها وتنفيذ المهام بصورة آمنة وسليمة وفق البرامج الفنية المعدة، وكذلك توفير الصيانة للمعدات ومتابعة التدريب والتطور لملاحقة التطورات وكل المستجدات.

أيضا، هناك حاجة ماسة لإعداد اللوائح والضوابط المصرفية والتقنية لتقنين هذه الأعمال واتمامها في كل المراحل وفق اللوائح والضوابط القانونية. مع الحرص علي متابعة كل التطورات المستجدة في هذا المجال التقني الحيوي وتنظيمها وتقنينها، وألا توقف قطار التقدم عندنا في حين أنه يسير في الاتجاهات الأخرى دون توقف.

هدية العدد: الدليل العملي للمدقق الشرعي في المصارف الإسلامية

يحيى محمد زكريا

للتحميل (رابط)

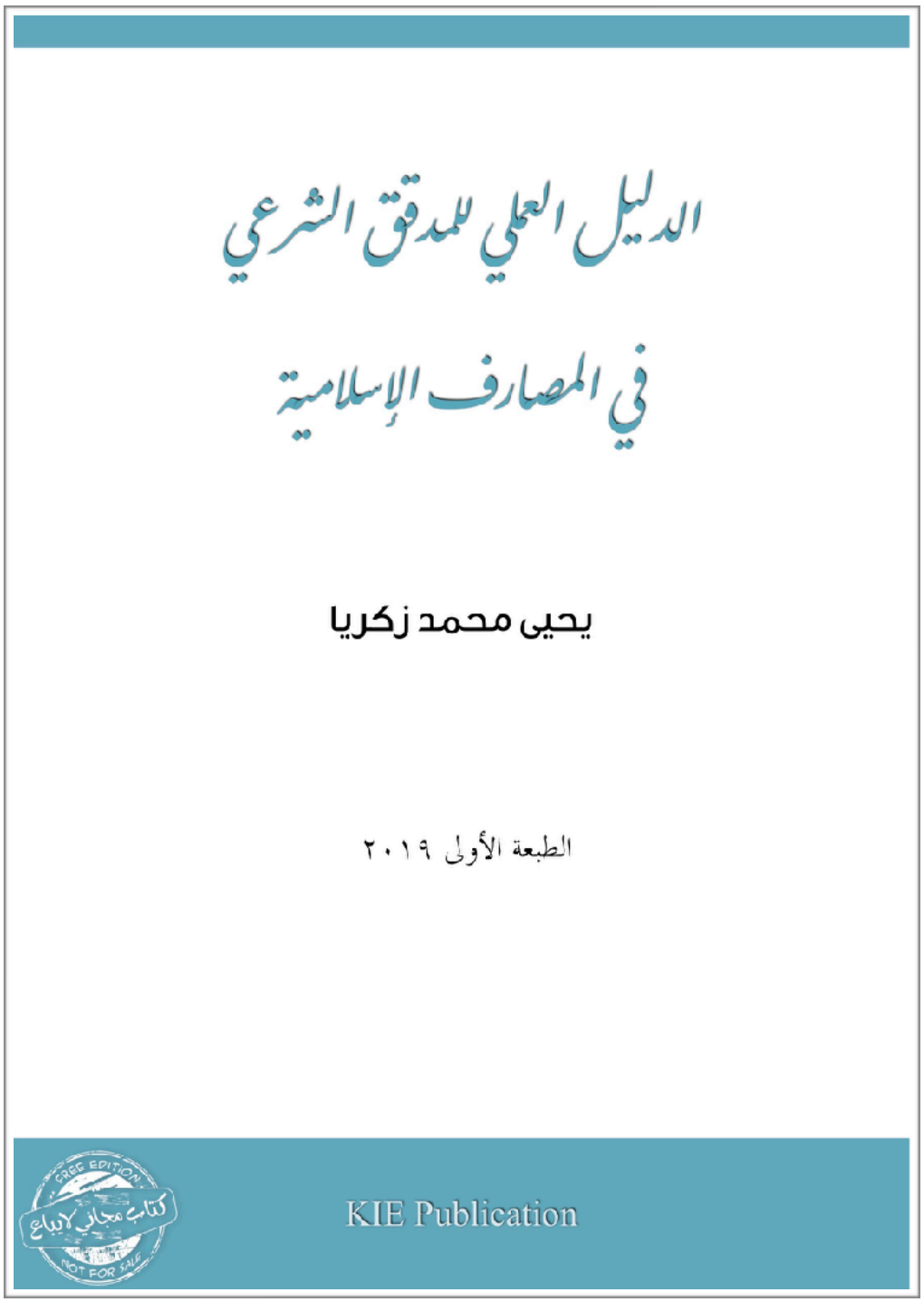

أفكار مستقاة من الأخبار الاقتصادية العالمية تصلح أفكاراً للبحث العلمي

هذه صفحة جديدة، الهدف منها توجيه بوصلة الأبحاث العلمية في الجامعات العربية والإسلامية نحو الأكثر حداثة في السوق العالمي، بغية رفع سوية البحث العلمي والارتقاء به ليتناول مشكلات وقضايا حقيقية معاصرة. نرجو ممن يرغب المشاركة في تحرير هذه الصفحة مراسلتنا.

- كيف يمكن زيادة الطلب عندما تكون أسعار الفائدة منخفضة بالفعل؟
- كان البيت الأبيض قد توقع أن حزمة التحفيز المالي الضخمة، التي تميزت بتخفيض معدل الضريبة على الشركات من ٣٥٪ إلى ٢١٪، ستعزز الإنفاق على الأعمال التجارية ونمو الوظائف. بدأ تطبيق التخفيضات الضريبية في يناير ٢٠١٨.

ولكن بدلاً من التسبب في زيادة الاستثمار في الأعمال التجارية، يبدو أن التخفيضات الضريبية لم يكن لها أي تأثير، أو حتى سلبية بعض الشيء، وهو ما لا ينبغي له أن يكون مفاجئاً لنا إذا كانت الشركات الأمريكية قد تمكنت بالفعل من الوصول إلى أكبر قدر ممكن من رأس المال.

ووجد الاستطلاع الربعي لرابطة اقتصاديات الأعمال الوطنية (NABE) الذي نشر يوم الإثنين أنه في حين ذكرت بعض الشركات تسارع الاستثمارات بسبب انخفاض ضرائب الشركات، قال ٨٤٪ من المجيبين أنهم لم يغيروا الخطط. يقارن ذلك بـ ٨١٪ في الاستطلاع السابق الذي نُشر في أكتوبر.

واقترح المسح NABE أيضا مزيدا من التباطؤ في الإنفاق على الأعمال التجارية بعد أن تراجعت بشكل حاد في الربع الثالث من عام ٢٠١٨. انخفض مقياس المسح من الإنفاق الرأسمالي في يناير إلى أدنى مستوى له منذ يوليو ٢٠١٧، كما أضعف توقعات الإنفاق الرأسمالي للأشهر الثلاثة القادمة.

- متى يكون الإنفاق الحكومي فعالاً؟ ومتى يكون غير فعال؟
- **تجاذب الحكومات للشركات؛ هل هو إغراق لهذه الشركات في مطحنة الأخطاء الحكومية بالاقتراض والفوائد والتضخم والسياسات النقدية الفاشلة؟**

هل تعمل الشركات على تجنب ذلك التجاذب لعدم الذوبان في تلك الأخطاء البنيوية؟

الحكومة لم تحل محل الشركات الخاصة! فهل العكس صحيح؟

- لا يوجد سداد للديون الحكومية، بل يتم التخلص منها. لذا فإن عجز اليوم هو مجرد انخفاض في معدل التضخم.
- اقتصاد الهجرة: إن بلداً يزداد فيه عدد السكان بسبب الهجرة من البلدان المنخفضة الدخل، معدل نمو سكانه أكبر من معدل نمو ناتجه المحلي الإجمالي السنوي للناتج المحلي الإجمالي. أما إذا كان أكبر من معدل النمو السنوي لتدفقات رأس المال، فإن عدم المساواة سوف ترتفع؛ لأن نمو الناتج المحلي الإجمالي هو أحد عوامل النمو السكاني سواء أكان النمو مرده أسباب محلية أم الهجرة.

والناتج المحلي الإجمالي هو أحد عوامل النمو السكاني لأسباب محلية أو بسبب الهجرة.

جامعة كاي

جامعة مرخصة من التعليم العالي

متخصصة في الاقتصاد الإسلامي وعلومه

www.kie.university